سيدة سوريا

شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

كانون ثاني ٢٠١٥ / العدد (١١)

محمد حبش وآراء فقهية حول تزويج القاصرات

تزويج القاصرات قنبلة نفسية موقوتة

الصورة النمطية للمرأة في المجتمع
وانعكاساتها في الإعلام النسائي

تحقيق:
– عرائس السكر.. قاصرات يتقاذفهن المجتمع وتجارب لنساء تم تزويجهن
– المرأة في مناطق داعش زفاف بالسواد وتضييق في الأسواق

لقاء:
مزكين يوسف:
إيزيديات تعرضن للسبي والبيع في الأسواق وقدمن كهدايا

العناوين:

للكلام بقية

عرائس السكر.. قاصرات يتقاذفهن المجتمع وتجارب لفتيات تمّ تزويجهن دون السن القانونية
• تحقيق: نور مارتيني

١٥ ألف جمعية أهلية في مصر تبيح تزويج القاصرات
• إيمان عادل

تزويج القاصرات السوريات جريمة من آثار الحرب
• سحر حويجة

زواج الأطفال في الهند
• رهف موسى

مرام.. طفلة زوجة.. وشابة أرملة
• فريق تحرير سيدة سوريا

سجل المعلومات فيما يخصّ حماية الأطفال
• ترجمة: ليلى كريم

الزواج المبكر في اليمن
الفقر والجهل والفهم الخاطئ للدين
• بحرية شمشير علي

ثنائية الموت والجنس لدى «داعش»
• صبيحة خليل

إنهاء تزويج القاصرات
دراسة من إعداد الاتحاد العالمي لتنظيم الأسرة
• فريق ترجمة سيدة سوريا

د. محمد حبش وآراء فقهية حول تزويج القاصرات
• حاورته سيدة سوريا

الآثار النفسية لتزويج القاصرات وطرق علاجها
• أميرة الجركس

تزويج القاصرات قنبلة نفسية موقوتة
• نجاح سفر

المرأة في مناطق «داعش»
زفاف بالسواد وتضييق في الأسواق
• جلال زين الدين

حكاية وعد
• وجدان ناصيف

رسالة عقل إلى عاقل «سيتزوج»
• صبحي فرنجية

الآثار الفيزيولوجية والسيكولوجية للزواج المبكر
• فريق تحرير سيدة سوريا

مزكين يوسف:
إيزيديات تعرضن للسبي والبيع في الأسواق وقدمن كهدايا
• حاورتها سيدة سوريا

دعد حداد عاشت وماتت من شدة الشعر!
• سامر مختار

أيقونات الثورة المصرية من الميدان إلى السجون
• مها شهبة

راضية النصراوي صرخة الحرية
• صوفية الهمامي

الصورة النمطية للمرأة في المجتمع وانعكاساتها في الإعلام النسائي/ الجزء الثاني
• ترجمة: د. إنعام شرف
فريق ترجمة سيدة سوريا

المرأة اليمنية دور رئيسي في الثورة وتهميش بعدها
• د. الخنساء عبد الرحمن أنور

تسالي

سهر.. الزوجة الدمية
• فريق تحرير سيدة سوريا

أدب
رماد... ي
• بابل الأحمد

رباعية الليلك.. نص في الأنانية والعشق
• علي الأعرج

سيدة سوريا

رئيس التحرير:
محمد ملّاك

مدير التحرير:
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة:
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير:
مراد عيد

الإيميل:
saiedetsuria@gmail.com

الفيس بوك:
www.facebook.com/saiedetsouria

المكتب الرئيسي:
تركيا - غازي عينتاب
ت:٠٠٩٠٥٥٣٣٦٧٩٥٢٨
٠٠٩٠٥٤٣٥٣٢٢٩٧١
٠٠٩٠٥٣٤٧٣٦٢٤٥٨

المركز السوري للصحافة و النشر
Syrian Center For Press & Publishing

السعر خارج سوريا: (٥) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

للكلام بقية

سوريات بين الفتاوى والرصاص

إن قال قائل اليوم ماذا فعلتم ببلادنا، بلادٍ عاشت الديمقراطية ونظام البرلمانات قبل ثلاثة آلاف عام، أين هن ملكات الزمان، نفرتيتي وبلقيس وحتشبسوت، سميراميس وجوليا دومنا وزنوبيا وأروى؟ أسرع الجميع بالرد، هذا خطاب ممجوج مقيت خشبي عتيق، ملّه الناس، أكل الدهر عليه وشرب، وما هذا الخطاب الذي يأتينا بعد أكثر من ألفي عام.

لكن ماذا لو أخبرناهم اليوم عن توكل كرمان صاحبة جائزة نوبل في السلام، بشرى المقطري الكاتبة والناشطة صاحبة جائزة قادة من أجل الديمقراطية في اليمن؟ ماذا عن التونسيات، المسرحية جليلة بكار، والكاتبة تركية العبيدي، والرياضية مريم الميزوني الحاصلة على الجائزة العالمية للمرأة الرياضية؟ أين هن سيدات مصر المبدعات المضحيات، هَنا سامح الطفلة الفائزة بجائزة المسابقة الدولية للإبداعات الفنية، وماهينور المصري التي نالت جائزتها الدولية عن حقوق الإنسان وهي لا تزال في السجن، وسارة عبد الرحمن وغادة عامر المبدعة في بحوث هندسة القوى الكهربية؟

نسألهم في سوريا، ماذا عن المغيبتين سميرة خليل ورزان زيتونة الحاصلتين على عديد الجوائز، ريم تركماني عالمة الفيزياء الفلكية، وكذلك علا رمضان وسمر يزبك ورزان غزاوي، والكاتبتين مها حسن ولينا هويان الحسن المرشحتين إلى قائمة جائزة بوكر؟

إن سألنا عن كل أولئك النسوة المبدعات فهل ستردون بنفس الكلام؟ ألسن نساء هذه البلاد، ألسن يفقن الرجال فهماً وأدباً وعلماً وإنجازاً، ألسن دعاة بناء في زمن الهدم والحرب، والخرس حيث لا كلام إلا للرصاص، أو لفتوى قاتلة كالرصاص؟

نسأل عن الحد الفاصل الذي يفتح الأمان لامرأة هنا، فيما يدمر أحلامها وإمكاناتها، بل وينهي حياتها هناك. فمقابل المرأة المطلقة الأيدي، حرة الإرادة، سيدة الخيارات، التي تسطر الإنجازات والنجاحات، وتحصد الجوائز كناية عن استحقاق وجودها واحترام العالم، نجد داخل حدود القهر حدود سوريا الواقع اليوم، مشهداً تقابله أياً كانت الجهة التي أطليت منها إلى سوريا، مشهد متشابه يموت فيه الناس، وإن اختلف السلاح، هابطاً من الطائرة والصاروخ، إلى سكين المطبخ، لكنها آلة الموت ذاتها، وقوامها الاستبداد والتخويف والجهل وقصر الأفق والطمع، كأسس تنتج العنف والموت والقيود والتحشيد بكل أشكاله، دينياً طائفياً أم عرقياً قومياً.

ونسأل، ما الذي يحد العنف ويرسم حدود الموت خارجيةً وداخلية؟ حدوداً لا تعني حياتك، لكنها تحدد أي جهةٍ ستقتلك وبأي ذريعة، في تفاصيل تؤدي إلى نتيجة واحدة، قتل الحياة. حدودٌ كل ما فيها يسير نحو موته، خساراته، وعى ذلك أم لم يعِ.

ونسألهم من منكم أقل سوءاً، من منكم أقل ظلماً داخل تلك الحدود على سيدات سوريا، طفلات سوريا اللواتي يحاصرهن النظام في المدن والبلدات والقرى، يحرمهن من التعليم والحياة، من الماء والطعام والكهرباء، ويقتلهن جوعاً وقصفاً مع عائلاتهن بالطائرات والمدافع كل يوم، يقنصهن على الحواجز.

فإن سلّمنا أن هذا فعل نظام الإجرام في سوريا، فما يفعل الآخرون في الأماكن الأخرى، المحررة، التي دفع السوريون ثمنها أرواحاً لا تحصى ومعتقلين وجرحى، نازحين ومهجرين، أرزاقاً وشقاء أيام؟

في هذه الأماكن تحاصر نساء سوريا وطفلاتها أيضاً، يجبرن على الحياة في الكهوف والخيام، وأيضاً في ظل الجوع وغياب الخدمات وانقطاع التعليم، حيث تتحول النساء السوريات بتأثير التخويف والقسوة والجهل والاستغلال، إلى سلع وأدوات انتقام، من اتخاذ الطفلات زوجات بأسوأ الظروف وأسوأ الشروط، إلى الانتهاك والضرب والتنكيل، إلى خطف وقتل المعيل تحت كل الذرائع، وصولاً إلى قتل النساء، وإعدامهن في الشوارع والساحات والأقبية، بيد داعش وغيرها من جهات التطرف والتشدد والتكفير، وذلك بكيل كل أنواع التهم الملفقة غير المثبتة، ممن لا يملكون أي وجاهة، أشخاصاً ليسو قضاةً، ليسو محققين جنائيين، لا يعرفون حداً أدنى عن علم الأدلة والبحث الجنائي، فلم نسمع عنهم إثباتاً ببصماتٍ أو دليل قاطع غير الشبهةِ واستخراج الاعترافات بالتعذيب، ليس لديهم إلا طلقةٌ في الرأس أو سكين على أوردة العنق.

الحياة في سوريا اليوم، من القساوة بحيث يهرب منها حتى عناصر داعش، وها نحن نسمع عن فرارهم خارج ملك خليفتهم المزعوم، وخارج ظلم كل مرضاه من أمراء وحملة سكاكين.

عرائس السكر.. قاصرات يتقاذفهن المجتمع

تجارب لفتيات تمّ تزويجهن دون السن القانونية.. وتبعات هذه الزيجات على الفتيات والمجتمع

• تحقيق: نور مارتيني

كثيرة هي المشاكل التي تفاقمت في مجتمعنا السوري، نتيجة الحرب والدمار اللذين شهدهما خلال السنوات الأربع الماضية من عمر الثورة السورية. ليست كلّ هذه المشكلات طارئة، بل كانت موجودة في المجتمع السوري، ولكن الظروف القاسية التي نمرّ بها أسهمت في تعريتها، لسببين: أولهما أن هذه الحالات كانت أشبه ما تكون بالاستثناء قبيل الثورة، ومن ناحية ثانية، أن التركيز الإعلامي على ما يحدث في سوريا إبان اندلاع الثورة، ورصد الحرب وتبعاتها بشكل عام، من النواحي الاقتصادية والاجتماعية، قد ساهمت في كشف النقاب عن هذه القضايا، التي كانت محجوبة عن الرّأي العام بسبب أداء جهاز الإعلام الذي يديره النظام السوري، وتركيزه على كلّ ما لا يخدم المواطن في شيء!

من بين هذه المشاكل التي ليست طارئة أبداً على المجتمع السوري، مشكلة تزويج القاصرات، التي كانت متواجدة في المجتمعات الريفية البسيطة، وكانت تعزى، في الغالب، إلى الأوضاع المادية السيئة في ظل العجز عن استكمال الأهل تحصيل ابنتهم العلمي، فيتجهون إلى تزويجها، وفي بعض الأحيان، لأسباب دينية، حيث تحرص بعض العائلات على تزويج الفتاة في سن صغيرة، كنوع للحماية لها من المجتمع بحسب مزاعمهم!

غير أن هذه الظاهرة، بدأت بالانحسار قبيل الثورة، نتيجة ازدياد درجة وعي المجتمع، لكن ما يحدث اليوم، أعاد المجتمع السوري بجملته إلى الوراء، وأعاد الناس إلى ظروف حتى أجدادهم لم يشهدوا مثيلاً لها، وأعاد إلى الواجهة مشاكل وأمراض، حسبناها باتت من المنسيات، ومع حالة التخلّف والتراجع من ناحية، وحملات التشويه لصورة المرأة السورية، التي أطلقها الإعلام، تزايدت حالات تزويج القاصرات، خاصة في ظل غياب المعيل، وتجنياً لها للاستغلال في بعض الأحيان، كما يرى بعض الناس الموضوع.

وبالتزامن مع الحملة التي تطلقها مجلة «سيدة سوريا» ضد تزويج القاصرات، والتي تحمل عنوان «طفلة لا زوجة»، نسلّط الضوء على هذه المشكلة، ونعرض شهادات لفتيات قاصرات تم تزويجهن في سن صغيرة، بالإضافة لبعض الآراء الاجتماعية، القانونية والطبية حول تبعات هذا النوع من الزيجات.

أرملة لمرتين في سن السابعة عشرة

سناء شابة سورية من بلدة الكفر في ريف مدينة معرة مصرين، التابعة لمحافظة إدلب، تزوّجت للمرة الأولى حين كانت في الرابعة عشرة من عمرها من ابن عمّ والدها، بعد أن حصلت على شهادة التعليم الأساسي، غير أنّ زوجها توفّي بعد عام واحد من زواجهما، تقول سناء: «كنت في

الرابعة عشرة حين طلب ابن عمّي يدي، كان شاباً لطيفاً جداً ووسيماً، وكونه ابن عمّ والدي، فقد وافق الأهل على الفور، غير أنّ أهله أخفوا عنّا جزئية صغيرة، وهي أنه كان مصاباً بمرض القلب، وأنّهم أحبّوا أن (يفرحوا بولده)، ذلك أن الأطباء أخبروهم بأنّ وضعه الصّحي سيئ جداً، ودون أن يراعوا الفكرة التي حذّرهم الأطباء منها، وهي أنّ قلبه قد لا يحتمل الزواج».

بعد عدّة أشهر من زواجهما، حملت سناء بمولودها الأول، غير أنّ زوجها توفي وهي في الشهر السّادس من حملها، تاركاً إياها أرملة بعمر الخامسة عشر، عن تلك السنة التي قضتها، تقول سناء: «كان طيباً جداً معي خلال هذه السنة التي عشناها سوياً، ولكنّ وضعه الصّحي ساء كثيراً خلال الشهور الثلاثة الأخيرة، وبقي ملازماً للفراش، إلى أن توفي حين كنت حاملاً في الشهر السادس، فعدت أرملة إلى بيت والدي، كي أنهي العدّة بعد أن أضع الجنين الذي أحمله، والذي لن يراه أبوه».

بعد أن وضعت مولودها الأول، صمّم أهل زوجها المرحوم أن يربّوا الحفيد، نظراً لأنه «من ريحة المرحوم»، واقترحوا على أهلها أحد أمرين: إما أن يأخذوا الولد ويتركوها لتعيش حياتها، أو أن تتزوج شقيق زوجها، فتزوّجته بالفعل تحت ضغط أهلها وأنجبت منه طفلين، غير أنّه وعندما بدأت الثورة السورية، توجّه مع أبناء عمومته لحضور تشييع في مدينة معرة مصرين، فتعرّضوا لكمين قتله مع عشرة من أبناء عمومته، وهي لم تكمل عامها السابع عشر.

تقول «حين تزوّجت للمرة الأولى كنت أصغر من أن أقرّر، وحين تزوّجت في المرّة الثانية، لم أكن في موقف يسمح لي بالاختيار، أما اليوم فلا أريد أن أقرّر، سأربّي أولادي، فأنا أمّ لثلاثة أطفال أيتام، ولم يعد بإمكاني التفكير بنفسي بعد اليوم»!

زواج القاصرات.. وتبعاته على الصعيد الصحي

يرى الطبيب وليد شحادات، وهو متخصص بالأمراض النسائية، أنّ الخطر الأكبر في الزواج المبكّر يتركّز في مخاطر الحمل والولادة المبكّرين، ما يتسبّب في اضطرابات الدورة الشهرية (لعدم نضج المنظومة الهرمونية للبلوغ، وعلى رأسها عدم انتظام الإباضة أو غيابها)، وتأخر الحمل والآثار الجسدية (تمزق المهبل والأعضاء المجاورة له من آثار الجماع)، وازدياد نسبة الإصابة بمرض هشاشة العظام في سن مبكرة نتيجة نقص الكالسيوم، إضافة إلى أمراض مصاحبة لحمل صغيرات السن من أبرزها: حدوث القيء المستمر عند حدوث الحمل لدى صغيرات السن، وفقر الدم، والإجهاض، حيث تزداد معدلات الإجهاض والولادات المبكرة، وذلك إما لخلل في الهرمونات الأنثوية، أو لعدم تأقلم الرحم على عملية حدوث الحمل، ما يؤدي إلى حدوث انقباضات رحمية متكررة تؤدي لحدوث نزيف مهبلي، والولادة المبكرة، وارتفاع حاد في ضغط الدم (حالات ما قبل الارتعاج أو ما يعرف بالانسمام الحملي، ومخاطره كبيرة على كافة أعضاء الجسم، خاصة الكلى والدماغ ووظيفة التجلط الدموي التي قد تصل للوفاة. ويؤكّد الطبيب على أن هذا

يؤدي إلى صعوبات في الولادة، وزيادة احتمال إجراء العمليات القيصرية نتيجة تعسر الولادات في العمر المبكر، وارتفاع نسبة الوفيات نتيجة المضاعفات المختلفة مع الحمل، وظهور التشوهات العظمية في الحوض والعمود الفقري بسبب الحمل المبكر. وكشفت التقارير عن وجود آثار على صحة الأطفال منها: اختناق الجنين في بطن الأم نتيجة القصور الحاد في الدورة الدموية المغذية للجنين، والولادة المبكرة وما يصاحبها من مضاعفات مثل: قصور في الجهاز التنفسي لعدم اكتمال نمو الرئتين، واعتلالات الجهاز الهضمي، وتأخر النمو الجسدي والعقلي، وزيادة الإصابة بالشلل الدماغي، والإصابة بالعمى، والإعاقات السمعية والوفاة بسبب الالتهابات.

أما عن الآثار النفسية، فيرى الدكتور شحادات أنّ «الحرمان العاطفي من حنان الوالدين، والحرمان من عيش مرحلة الطفولة، التي إن مرّت بسلام كبرت الطفلة لتصبح إنسانة سوية، لذا فإن حرمانها من الاستمتاع بهذه السن يؤدي عند تعرضها لضغوط إلى ارتداد لهذه المرحلة في صورة أمراض نفسية مثل الهستيريا والفصام، الاكتئاب، القلق، اضطرابات الشخصية، واضطرابات في العلاقات الجنسية بين الزوجين ناتج عن عدم إدراك الطفلة لطبيعة العلاقة، ما ينتج عنه عدم نجاح العلاقة وصعوبتها» ويضيف الطبيب إلى كلّ ما سبق حالات القلق واضطرابات عدم التكيف، نتيجة للمشاكل الزوجية وعدم تفّهم الزوجة لما يعنيه الزواج، ومسؤولية الأسرة والسكن والمودة.

ويحذر الطبيب «شحادات» من احتمال أن «تنجرّ الفتاة إلى الإدمان نتيجة لكثرة الضغوط، كنوع من أنواع الهروب، وقد تعاني من آثار ما بعد الصدمة (ليلة الدخلة)، وهي مجموعة من الأعراض النفسية التي تتراوح ما بين أعراض الاكتئاب والقلق عند التعرض لمثل هذه المواقف. يشكل الخوف حالة طبيعية عند الأطفال ومن هم دون سن البلوغ كالخوف من الظلام والغرباء والبعد عن الوالدين».

كما يشير الطبيب إلى أن هذا الشعور يزول بعد مرحلة البلوغ، لذلك فإن الخوف وما يترتب عليه قد يصاحب القاصر إذا تعرضت للزواج بهذا العمر، والانغلاق اللاإرادي للمهبل لمن هنّ في عمر مبكر (وهو مرض نفسي ابتداء)، ويزيد من احتمال حدوث ذلك وجود الخوف (القلق) من الشدة الجسدية من الزوج، وهي حالة مرضية تستدعي التدخل الطبي. لا يمكن التغاضي عن وجود قابلية للإصابة ببعض الأمراض النفسية خلال فترة النفاس (نتيجة احتمال إصابتها بأمراض نفسية قبل الحمل)، وعدم اكتمال النضج الذهني فيما يخص اتخاذ القرارات وما يترتب عليها بالنسبة للعناية بالطفل وواجبات الزوج والعلاقة مع أقاربه.

الزواج المبكّر.. اجتماعياً وقانونياً

يرى الباحث «علي الأمين السويد» أن الناس لا يتذكرون مصطلح تزويج القاصرات إلا عند وقوع المصائب الاجتماعية، أو عندما تطغى قصة مؤثرة على وسائل الإعلام، أو حين تصل معاناة إحدى الفتيات إلى مسامع الجمهور.

وبحسب الباحث «السويد»، فإنّ للقاصر مدلولات قانونية، وعقلية، ومادية، فهو قانوناً كل شخص لم يتجاوز عمراً معيناً يتراوح بين 16 إلى 21 عاماً، في مختلف أنحاء العالم، ويرى أنّ «القصور العقلي هو لبّ القضيّة ومربط الفرس، وأنه ليس كل من تجاوز 18 عاماً قد اكتمل عقله، وأن المقدرة الفيزيولوجية على الزواج، لا تعني بالضرورة القدرة على التكيّف مع مستلزمات الحياة».

كما يورد «السويد» مثالاً، يذكر فيه أن «السيدة عائشة رضي الله عنها كان عمرها تسع سنوات، وكانت تلهو بما تلهو به مثيلاتها من الأطفال، ما ينمّ عن عدم استعدادها العقلي، وقد أدرك النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، فلم يقترب منها (كزوجة) إلا بعد أن تأكد من استعدادها العقلي».

فيما ترى الحقوقية «أمل النعسان»، والتي تدير مركزاً للمناصرة والتعافي، بين روّاده سيدات وأمهات تزوجن وهن قاصرات، وبدأن بارتياد المركز للتخلص من التبعات السلبية التي خلّفها هذا الزواج، تقول النعسان: «جاء في المادة 15 من قانون الأحوال الشخصية السوري/ الفقرة الأولى أنه يشترط في أهلية الزواج العقل والبلوغ، في حين نصت المادة 16 من القانون السوري بأنه تكتمل أهلية الزواج في الفتى بتمام الثامنة عشرة، وفي الفتاة بتمام السابعة عشرة من العمر، وهنا نلاحظ أنه حدد سن الزواج».

وتعقّب على ذلك: «لكن أتت المادة 18 والتي تقول: إذا ادعى المراهق البلوغ بعد إكماله 15 سنة أو المراهقة بعد إكمالها الثالثة عشرة، وطلبا الزواج، يأذن القاضي إذا تبين له صدق دعواهما واحتمال جسميهما، للقاضي هنا أن يأذن بالزواج، وبالتالي له هنا ولاية بقبول زواج القاصرين من القاصرات. وحسب المادة 19 إذا كان الخاطبان غير متناسبين سناً ولم تكن في هذا الزواج مصلحة، فللقاضي أن لا يأذن بالزواج، وكثيراً ما يلجأ الناس هنا إلى عقود الزواج العرفي، ولاسيما عندما يكون الزوج كبيراً جداً في السن، والفتاة صغيرة وبعد أن يتم العقد يأتي للمحكمة لتثبيت هذا الزواج، وبالتالي ليس للمحكمة إلا تثبيته»!

جدير بالذكر أنّ الإحصائيات تفيد بأن حوالي (16) مليون حالة ولادة بين عمر 15 – 19 سنة، وحوالي مليون حالة ولادة عند فتيات دون 15 سنة كل عام، معظمها في الدول ذات الدخل المتوسط أو المتدني، وتشكل الوفيات الناجمة عن اختلاطات الحمل والولادة السبب الثاني للموت عند الفتيات بين 15 – 19 سنة حول العالم. كما أنّه في كل سنة تتعرض حوالي (3) ملايين فتاة بين عمر 15 – 19 سنة لعمليه إجهاض غير آمنة، فيما يتبيّن أن 95% من الولادات حول العالم لفتيات بين 15 – 19سنة تمّت في بلدان ذات دخل منخفض إلى متوسط. وتفيد إحصائيات (2014) بأن معدل الولادة العالمي لمن هن بين 15 – 19سنة قد بلغ 49 لكل ألف فتاة، أما على مستوى الدول فتتراوح بين 1 – 299 لكل ألف فتاة، معظمها في الدول الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى، وفي جنوب شرق آسيا انخفضت الوفيات منذ سنة 2000 من 21 – 9 / 100 ألف فتاة.

١٥ ألف جمعية أهلية في مصر تبيح تزويج القاصرات

• إيمان عادل – القاهرة

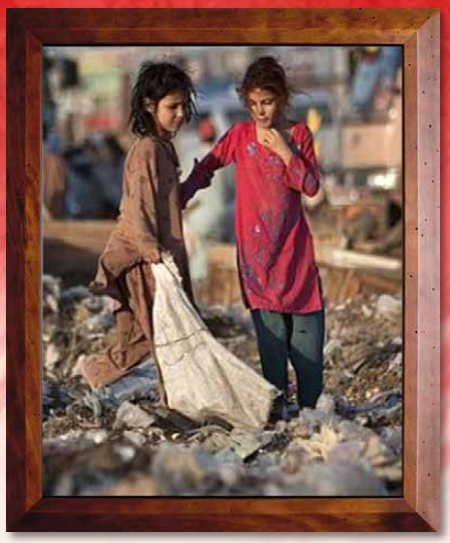

تتوالى التقارير الحقوقية المعنية بالرصد في مصر، للتأكيد على تفشي ظاهرة الزواج المبكر أو تزويج القاصرات، آخرها كان ذلك التقرير الصادم الذي خرجت به فرق الرصد في «منظمة العدل والتنمية لحقوق الإنسان» في مصر، والذي توصل إلى نتائج إحصائية وميدانية أكدت على تورط الجمعيات الأهلية في مصر، والتي تتبع جهات سلفية، في الترويج لتزويج القاصرات في مناطق قرى الصعيد والبدو، وذلك في استغلال واضح لحالة ضعف الوعي، واستناد على أن الشريعة الإسلامية لم تحدد سناً معينة للزواج، وأن الزواج في سن مبكرة يصون الشباب!

وقالت المنظمة الحقوقية في تقرير الرصد الخاص بها إن عدد الجمعيات الأهلية المصرية التي تروج لظاهرة تزويج القاصرات بلغ 15 ألف جمعية أهلية تابعة للجمعيات الخيرية الإسلامية.

ورغم القوانين المصرية المشددة على تجريم تزويج القاصرات قبل سن 18، وهو الأمر الذي نص عليه الدستور المصري في المادة رقم 31 مكرر من قانون الطفل رقم 126، على أنه «لا يجوز توثيق عقد زواج لمن لم يبلغ من الجنسين ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة، ويشترط للتوثيق أن يتم الفحص الطبي للراغبين في الزواج للتحقق من خلوهما من الأمراض التي تؤثر على حياة أو صحة كل منهما أو على صحة نسلهما، ويعاقب تأديبياً كل من وثق زواجاً بالمخالفة لأحكام هذه المادة»، رغم ذلك فإن القانون المصري لم يطبق على النحو الصائب على مستويين، أولهما على مستوى الرقابة في تلك القرى والنجوع بالصعيد والبدو، وثانيهما على مستوى ترخيص الجمعيات الأهلية التي تروج لتزويج القاصرات، دون توثيق رسمي بوزارة العدل على اعتبار ذلك مخالفاً للقانون.

يقول تقرير منظمة العدل والتنمية لحقوق الإنسان إن ظاهرة تزويج القاصرات ظاهرة اجتماعية خطيرة في محافظات الصعيد والمحافظات الحدودية، تتمثل بتفشي الزواج في سن مبكر وغير موثق، ما يعتبر انتهاكاً لحقوق المرأة المصرية، في ظل غياب التوعية الدينية والصحية (داخل الأرياف المصرية) بخطورة تلك الظاهرة.

وأشارت المنظمة إلى تفشي ظاهرة تزويج القاصرات غير الموثق بعقود داخل قرى الصعيد، ومنها جزيرة الحمودي والحجيرات وأبو دياب ونجع حمادي والمراشدة والواحات وسيوة والوادي الجديد ومحافظات سيناء ومطروح، حيث ينتشر بين تجمعات البدو. إضافة لانتشار الظاهرة بين تجمعات الغجر داخل أسوان وأسيوط وبعض المحافظات الأخرى.

وأكدت المنظمة أن تزويج القاصرات غير الرسمي يتم بعيداً عن المأذون الشرعي ووزارة العدل، حيث يتم من خلال أخذ شيكات على العريس حتى يتم توثيق العقد بعد وصول الفتاة السن الرسمية، وبعد وصولها للسن القانونية يتم إشهار الزواج في المحكمة. وهي ظاهرة متفشية داخل القرى والنجوع، نتيجة انتشار الأمية وتسرب الفتيات من التعليم. وتصل نسبة زواج السنة داخل الصعيد والمحافظات الحدودية إلى حوالي 30 % رغم القوانين الحكومية التي تحظر زواج السنة.

المتحدث الإعلامي للمنظمة «زيدان القنائي» قال إن أهالي الصعيد والبدو والغجر يلجؤون إلى ظاهرة «تسنين» الفتاة لإتمام الزواج المبكر بعمر أكبر من عمرها ببعض المحافظات، نتيجة عدم تسجيل غالبية الفتيات بشهادات الميلاد، وهذا الزواج المتفشي بعدد كبير من المناطق يهدر كافة حقوق المرأة في الميراث لأنه زواج يتم بعيداً عن الجهات المسؤولة.

أما الباحث الاجتماعي «أحمد محمود القاسم» فقال: «تندرج ظاهرة تزويج القاصرات تحت باب الاستغلال الجنسي لجسد فتاة قاصر، ولمضمون وروح الزواج الحقيقي المعروف والمعهود ولأبعاده الموضوعية. فالزواج من فتاة قاصر لا يبني أسرة كريمة، خاصة إذا كانت هذه القاصر جاهلة ولم تستكمل تعليمها، كما أنها لا تستطيع فهم أبعاد مثل هذا الزواج وفهم الهدف منه، وسوف تكون لعبة بيد من يتزوجها، ويستغلها جسدياً، بدون أي عواطف إنسانية متبادلة تذكر، من أجل متعته الخاصة فقط كونها صغيرة».

وأشار القاسم أن بعض من يرغبون في مثل هذه الزيجات لا يلتفتون في الأغلب إلى الآثار السلبية التي ستعاني منها الزوجة القاصر، فهي قد تكون غير مهيأة نفسياً ولاجسدياً أو عقلياً أو ثقافياً لمثل هذا الزواج، فتتحمل القاصر عبئاً لا قدرة لها به. وهي لن تفهم دورها فيه مطلقاً، فقد يستغلها هذا الزوج، حسب رغبته وشهوته، مقابل أن يغريها بحبة من العلكة أو الشوكولاتة بداية، وإذا لم تقبل، فقد يلجأ إلى إرهابها وتخويفها وحتى إلى اغتصابها عنوة، وهذا هو الظلم بعينه، الذي قد يقع على هذه القاصر، والذي سيتسبب لها بآلام متعددة من النواحي النفسية والجسدية، فالزوج، في هذا النوع من الزيجات، لا يهمه، إلا أن يحصل على متعته الخاصة، دون اكتراث لعواطف وشعور الطرف الآخر، طالما أنه دفع مهرها لوالدها، ووافق الوالد على استغلال ابنته بدون قيد أو شرط.

تزويج القاصرات السوريات جريمة من آثار الحرب

• سحر حويجة

تزويج القاصرات من القضايا التي تتعلق بانتهاك صارخ لحقوق الطفل والمعاهدات الدولية الناظمة لهذه الحقوق، التي وقعت عليها الدول العربية ومنها سوريا. وانتهاك الشرعة الدولية لحقوق الإنسان، ظاهرة فرضت نفسها على المجتمعات العربية وكانت ضاغطة وعميقة تؤرق القائمين على حلها في بعض المجتمعات، على سبيل المثال السعودية واليمن، نتيجة تداخل هذه الظاهرة مع مشاكل عميقة تعاني منها هذه المجتمعات، تعرقل حل هذه القضية، أهمها البنى القسرية المغلقة القبلية، الدينية والاقتصادية.

في سوريا، وقبل الثورة التي تحولت إلى حرب داخلية، لم تكن ظاهرة تزويج القاصرات تثير جدلاً محتدماً في الشارع السوري، ولا حتى من قبل المهتمين بحقوق الإنسان وخصوصاً المرأة والطفل، مع أنها كانت منتشرة في بعض الأوساط، خاصة القبلية والريفية، لكنها لم تكن ظاهرة واسعة الانتشار مقارنة بغيرها من الدول العربية. على وجه العموم في كل المجتمعات العربية التي تعاني من هذه الظاهرة، تواجه هذه القضية عقبات تعيق حلها، تأتي في مقدمتها:

أولاً: الفتاوى الدينية التي تدعو إلى تزويج القاصرات وتبرره وتعطيه غطاء شرعياً من وحي السنة، على أساس الاقتداء بزواج الرسول «ص» من السيدة عائشة، مع العلم أن الرسول أعطي امتيازاً إلهياً على أقرانه المسلمين في الزواج بأكثر من أربعة، ومع أنه لم ينجب أطفالاً من هذا الزواج، إذ يعتبر الإنجاب، نتيجة تزويج القاصرات من أكبر الآثار خطورة على الطفل والمرأة.

ووفقاً لمصادر طبية، فهناك مشاكل مصاحبة لحمل قاصرات السن، مثل فقر الدم والإجهاض، حيث تزداد معدلات الإجهاض والولادات المبكرة، كما أن له آثاراً كارثية على صحة الأطفال، إذ يلي الولادة المبكرة مضاعفات مثل: عدم اكتمال نمو الرئتين، اعتلالات الجهاز الهضمي، تأخر النمو الجسدي والعقلي، زيادة الإصابة بالشلل الدماغي، الإصابة بالعمى، الإعاقات السمعية والوفاة.

حجج الفقهاء في رفض تحديد سن الزواج تستند إلى أنه وعلى مر التاريخ الإسلامي، لم يتم تحديد لسن الزواج، مع العلم أنه تم وضع شروط خاصة بالنسبة لزواج الصغيرة، إذ يجب أن يتم عقد قران الصغيرة عبر الأب أو الجد حصراً، في الوقت ذاته لم يجز الشرع لهما عقد قران على فتاة غير صالحة للزواج، باعتبار الفتاة القاصر غير مهيأة لا نفسياً ولا عقلياً ولا حتى جسدياً للزواج، كما أنها لا تدرك أبعاد هذا الزواج، من رجل لا تهمه إلا متعته فقط بعد أن دفع مهرها لوالدها.

ثانياً: قصور القوانين التي تحدد سن الزواج، والطريقة التي يتم بها الزواج، ومصادر هذه القوانين، وإن كان الحقوقيون والمثقفون الرافضون لتزويج القاصرات في السعودية واليمن يعتبرون أن نصراً يتحقق عند تحديد القانون لسن الزواج بخمسة عشر عاماً.

في سوريا، ووفق ماجاء في المادة 16 من قانون الأحوال الشخصية: «تكتمل أهلية الزواج في الفتى بتمام الثامنة عشرة وفي الفتاة بتمام السابعة عشرة من العمر»، لكن الباب ترك موارباً لنصوص أخرى، تتعارض مع نص هذه المادة وتبرر زواج الأطفال، حيث جاء في المادة 18 من قانون الأحوال الشخصية: «إذا ادعى المراهق البلوغ بعد إكماله الخامسة عشرة أو المراهقة بعد إكمالها الثالثة عشرة، وطلبا الزواج، يأذن به القاضي إذا تبين له صدق دعواهما واحتمال جسميهما». إذن القاضي الشرعي وموافقته تتم على أساس البلوغ الجسدي، هذا يتناقض مع المادة 15 التي تشترط في الزواج أهلية العقل والبلوغ.إضافة إلى أن الزواج يُلزم بالتسجيل في حال حصول حمل. وتنتشر ظاهرة الزواج العرفي غير المسجل، حيث إن جزءاً كبيراً من هذه الزيجات تعقد على قاصرات. ووفق إحصائيات صادرة عن وزارة العدل، فإن ما نسبته 10 % من الزيجات في عام 2013 عقدت على قاصرات في المحاكم الشرعية في دمشق، وإن هذه النسبة تزيد كثيراً في مناطق الأرياف البعيدة عن العاصمة. وإن نسبة 60 % من الزيجات غير المسجلة في المحاكم عقدت على قاصرات.

أضف إلى أن تزويج القاصرات يفتقر إلى شرط صحة الزواج في القبول والإيجاب الحقيقي، فالقاصر مكرهة

من قبل ولي الأمر، ولا تدرك أبعاد قبولها بهذا الزواج، على ماجاء في الفقرة الثانية من المادة 17: «إذا كان الولي هو الأب أو الجد اشترطت موافقته.»
وعلى اعتبار أن لكل طائفة في سوريا محاكمها الخاصة في قضايا الأحوال الشخصية وفقاً لشريعتها، فقد استطاعت المحاكم الروحية للطوائف المسيحية في سوريا تحديد الحد الأدنى لسن الزواج للفتاة بالثامنة عشرة وللشاب بواحد عشرين عاماً.
إذن في سوريا فوضى قانونية لها طابع رسمي، ناهيك عن الفوضى التي تعيشها البلاد بسبب ظروف الحرب، مصدرها تناقض في القوانين، وقوانين متعددة ومختلفة تطبق على السوريين وفقاً لمرجعيات طائفية، لا تقوم على أساس ما يناسب المواطن السوري وفق مفهوم المواطنة والمساواة أمام القانون، وهي في الوقت ذاته قوانين تمييزية ضد المرأة.

أهم أسباب تزويج القاصرات في سوريا

تحولت قضية تزويج القاصرات إلى مشكلة كبيرة يجب العمل على وضع حد لها، لما ستتركه من آثار كارثية على مستقبل شريحة واسعة من القاصرات السوريات وأطفالهن، على اعتبار أن هذه الظاهرة إحدى مفرزات الحرب القائمة في سوريا، وبالتالي فالسبب الأساسي لتزويج القاصرات لا يقوم عرف أو تقليد فحسب، بل نتيجة اللجوء والتشرد والفقر والبؤس والظلم والاضطهاد والقهر والخوف الذي يتعرض له الشعب السوري، كل هذا يدفع الأب أو حتى في غيابه إلى الإقدام على قبول تزويج القاصرات تحت ضروب من الضغط والإكراه أهمها: الحاجة للمال وللتخلص من عبئهن المالي بالدرجة الأولى، ودافع الستر بالدرجة الثانية، حيث يعيش اللاجئون في ظروف تساهم في استغلال النساء جنسياً، أو نتيجة الخوف من تعرض بناتهن لاعتداء أو اغتصاب، فيبيعونها مقابل زواج سمّي «شرعياً». كما يتم تزويج القاصرات تحسباً لاختطاف الفتيات في إطار العنف الدائر، مقابل فدية أو انتقام.
لابد هنا من الإشارة إلى أن تزويج القاصرات في مناطق اللجوء بعيد عن سلطة القانون السوري، حيث يكون الزوج في أغلب الحالات ليس من التابعية السورية، بل يكون الزوج من السعودية أو دول الخليج أو الدول العربية الأخرى، وبالتالي يتم الزواج وفق قانون الزوج، نورد هنا بعض الوقائع التي تدل على هذا الجانب:
حيث إن عدد الطلبات المقدمة من سعوديين للسفارة السعودية في الأردن تزايدت للموافقة على طلبات زواج من سوريات مقيمات في الأردن أغلبهن قاصرات، وبأسعار بخسة تصل حد 500 ريال فقط مهراً للواحدة منهن.
وفي خبر لافت مصدره لاجئة على الأراضي العراقية قررت إقامة دعوى قضائية على رجال من مكتب المجلس الإسلامي الأعلى في النجف، بعد أن اقتادوا خمس عشرة فتاة، وأعادوهن بعد يومين بعد أن عقد عليهن زواج المتعة لمدة يومين فقط وبالإكراه.
في الجزائر، وبناء على مانشرته صحف جزائرية أن أئمة المساجد طالبوا الجزائريين في خطب الجمعة بالزواج من سوريات لاجئات، واعتبروا هذا الأمر واجباً على كل جزائري مقتدر لانتشال السوريات من الشوارع.
إذن أملاً في التخلص من عيشة البؤس، وخيم اللجوء، وطمعاً في حماية لها ولعائلتها من قبل زوج مقتدر في الغربة القسرية التي يعيشونها، أما بالنسبة للزوج الذي يتقدم بدافع الشفقة فهذه الزيجات أساسها المتاجرة بجسد الفتاة واستغلال جنسي للاجئات، دون تقدير واحترام للفتاة أو لأهلها.

أضف إلى أسباب تزويج القاصرات، أن اللجوء والتشرد نتيجة العنف الدائر في سوريا أدى إلى توقف الدراسة بالنسبة لملايين الأطفال السوريين، حيث تم دفع الأولاد للعمل ودفع البنات للزواج. لأن العلم يشكل مانعاً من تزويج القاصرات والعكس صحيح. حيث ارتفاع معدلات تزويج القاصرات يعود إلى تسرب الفتيات من المدارس، قبل إكمال مرحلة التعليم الأساسي.

في الخلاصة إن تزويج القاصرات في أماكن اللجوء أغلبها صورية لا تلتزم بقواعد القانون، تقوم في أساسها إما على الشفقة وإما التجارة بجسد الصغيرة بدلاً من صونها، زواج ينقصه الكفاءة والاحترام سواء للفتاة أم لأهلها اللاجئون. وأغلب هذه الزيجات غير مسجلة، إما لسبب في القانون أحياناً، أو هروباً من الزوج، حتى لا يتحمل مسؤولية زواج شرعي أحياناً أخرى، كما أن الفتاة تكون معرضة لطلاق تعسفي وفي أحشائها طفل من الصعب إتمام تسجيله إذا تنكر له الرجل، ويعتبر من أخطر آثار هذا الزواج على القاصرات، الحرمان العاطفي من الوالدين التي يحتاجها كل طفل وطفلة في مرحلة الطفولة. كما يتم حرماتها من حق أن تعيش مرحلة الطفولة، حيث أن تعرضها لضغوط الزواج ومسؤوليته أكبر من قدرتها على التحمل، ينتج عن ذلك وفق دراسات نفسية، عملية ارتداد لمرحلة الطفولة في صورة أمراض نفسية مثل الهستيريا و والاكتئاب، والقلق واضطرابات الشخصية واضطرابات في العلاقات الجنسية بين الزوجين، ناتج عن عدم إدراك الطفلة لطبيعة العلاقة، وعدم تفهم الزوجة لما يعنيه الزواج، ومسؤولية الأسرة.

إن علاج ظاهرة تزويج القاصرات في دول اللجوء والشتات يحتاج إلى جهود كبيرة من قبل منظمات المجتمع المدني والمنظمات الحقوقية، في سبيل دعم المخيمات بكوادر مختصة واستشارات نفسية، قانونية، اجتماعية وثقافية، مثل إنشاء مكاتب يتمكن اللاجئون من التواصل معها ومراجعتها، يكون دورها رفع مستوى الوعي بمخاطر هذه الظاهرة، في الوقت ذاته العمل على تحسين الخدمات الأساسية، وتحسين ظروف اللجوء وخاصة التعليم، على اعتبار أن تزويج القاصرات تنتجه ظروف قاهرة، تتعطل بها الحكمة والعقل.

زواج الأطفال في الهند
عندما يتحول الحلم إلى كابوس

• رهف موسى

على الرغم من أنه غير قانوني في الهند، كما هو في بقية أنحاء العالم، إلا أن زواج الأطفال لا يزال سارياً في قبائل معينة أو في مجتمعات الطبقات الدنيا، حيث تم في ولاية تشاتيسغاره عام 2014، زواج 3500 طفلٍ وطفلة أثناء مهرجان «رام نافامي»، الذي يقام احتفالاً بذكرى ميلاد الإله راما.

في قرية كابا التابعة لولاية تشاتيسغاره، الواقعة في الجانب الشمالي من الهند، في 31 آذار كانت كل من الفتيات لاليتا (7 سنوات)، ساريتا (9 سنوات) وكولشمار (12 سنة)، تستعد للزواج بولد في نفس سنها دون أن تعلم عنه شيئاً، حتى اسمه. وجرت العادات أن يتم الاحتفال بطقوس الزواج بمباركة الإله راما، خلال مهرجان «رام نافامي»، وهي إحدى ثلاث فترات مفضلة للزواج في التقويم الهندوسي.

تقام الاحتفالات لمدة ثلاثة أيام كاملة، تتم خلالها تأدية طقوس قديمة متوارثة تحت حراسة «الشامان»، وهم رجال دين يلجؤون إلى قواهم السحرية التي تمكنهم من استخدام الأرواح حسب رغبتهم، كأن يجعلوها تتملك أجسادهم، فيكتسبوا قدراتها على القتال، أو يدخلوها في أية أداة، كالسيف لتتملك الروح السيف وتزيد من قوته.

يكرس اليوم الأول من الاحتفالات للصلوات وتقديم العطايا للآلهة الحامية، وفي اليوم التالي يتم تلطيخ العرسان من الجنسين بمزيج من البذور المهروسة والمياه المطهرة، وفي اليوم الثالث فقط يجلب الأطفال العرسان، وهم يرتدون الأزياء المطرزة والمجوهرات، إلى حفل العرس، وهو احتفال قصير المدى، إذ تعود الفتيات في اليوم التالي للاحتفال إلى منازل ذويهن حتى يصلن سن البلوغ.

من المتعارف عليه في المجتمع الهندي أن تقام الاحتفالات الضخمة في الزواج على نفقة والد العروس، الذي يدفع كل مصاريف العرس ويفرش البيت، ويقدم المهر دون أن يجبر العريس على دفع شيء، وعلى العريس فقط أن يستلم العروس ومعها كل لوازم البيت، مما يشكل ثقلاً على كاهل من عنده أكثر من بنت، لذلك يلجأ الأهالي إلى التحايل على هذه المسألة، بإقامة حفلات زفاف جماعية، يتم فيها توفير المبالغ الكبيرة التي يمكن أن يتم إنفاقها في حفلات الزواج الفردية.

مخالفة القانون

يوجد في قرى الولاية ذات الطابع الريفي، عدد غير محدود من الفتيات مثل لاليتا، سارينا وكولشمار، يضعن علامات حمراء على جبينهن وخواتم في أصابع أقدامهن، وهي علامات تدلل على أنهن فتيات متزوجات، وتشكل مؤشراً على أن تقليد زواج الأطفال لا يزال أمراً واقعاً، على الرغم من أنه ممنوع قانونياً. وقد وقّعت الهند على الاتفاقية الدولية لحقوق الأطفال، التي يمنع أحد بنودها مثل هذا الزواج منذ عام 1929. وطبقاً للاتفاقية، فإن السن القانوني للزواج هي 18 عاماً للنساء و21 عاماً للرجال.

يذكر أن بعثة تقصي الحقائق التي تدافع عن حقوق الإنسان، قد قامت بإحصاء حالات زواج الأطفال في رايبورغ، عاصمة الولاية، فتبين أن هناك حوالي عشرة آلاف حالة احتفال بزواج الأطفال تجري سنوياً في ذلك الجزء القصي من الهند، وعملت البعثة لسنوات عدة على إحصاء عدد زيجات الأطفال في المنطقة، لإجبار السلطات المحلية على اتخاذ إجراء تجاه مثل هذا الزواج، الذي يعتبر أمراً غير قانوني على الإطلاق، لكن دون جدوى.

توصف تلك الزيجات بأنها غير إنسانية على الإطلاق، فعند عودة الفتيات إلى أزواجهن في سن البلوغ سرعان ما يحملن، مما يزيد نسبة الوفيات بين الأمهات والمواليد الجدد، إضافة إلى أن الآباء يمتنعون عن إرسال أطفالهم إلى المدارس، لإجبارهم على العمل المبكر في المزارع للمساعدة في إعالة العائلة.

ويقول الاختصاصيون إن إجبار الفتيات على الزواج في هذه السن المبكرة له آثار مدمرة على الصعيد الجسدي، الفكري، النفسي والعاطفي، فمن خلال هذه العملية ينكر المجتمع عليهن حقهن في الحرية والاختيار الشخصي، فالزواج المبكر بالنسبة للفتيات يعني العبودية الجنسية والزوجية التامة.

من جانبها تتهم منظمة حقوق الإنسان الحكومة الهندية بالتقصير تجاه اتخاذ إجراءات صارمة للحد من هذه الممارسات، وتلعب الانتخابات دوراً سيئاً في هذا المجال، فالعادات المفروضة تسبب دائماً ردود أفعال سلبية شعبية، ولا يرغب أحد في خسارة أصوات الأهالي، فخلال فترة الانتخابات عادة ما تغض السلطات المختصة الطرف عما يحدث في موسم الزواج، ولا تهتم بالتثبت من تطبيق الفقراء للقانون.

يبرر الفقراء هذه الظاهرة بأنها ضرورة اقتصادية، وذلك بسبب عدم قدرة الأب تزويج جميع بناته كل على حدة، كما أن مهر العروس صغيرة السن يكون في العادة أقل بكثير من الفتاة البالغة.

مشكلة المهور

تعاني الهند من الارتفاع المبالغ للمهور، ويأتي للتخفيف من وطأة العبء على أسرة العريس، فتقدم أسرة العروس مهراً من النقود والأدوات المنزلية والمجوهرات أو الأرض أو حيوانات المزارع أو السيارات لأهل العريس، ورغم

أن هذا التقليد يعود للحقبة الرومانية، فإنه قد اكتسب شعبية عبر جنوب آسيا خلال السنوات العشرين الماضية، إذ تضافرت الحداثة واليأس ليزداد ارتفاع المهور إلى مستويات كارثية.

لقد أصبح موضوع المهر في الهند، النيبال، بنغلاديش وباكستان قضية رئيسية بالنسبة للناشطين من أجل حقوق المرأة، وفي السبعينات حاولت كل من الهند وباكستان حيال المخاوف التي تشكلها المطالب غير العقلانية في المهور والعنف المتنامي المترافق معها كبح جماح هذه الظاهرة وذلك بتحريمها، وقد صدرت قوانين حددت المهر المسموح به وهدايا العرائس وتكاليف الزواج، لكن التراخي في تنفيذ القانون والقبول الاجتماعي بهذه الممارسة قلّصا من إمكانية تطبيق هذه القوانين.

وبينما يمثل الزواج حلم أي أنثى في العالم، إلا أنه كابوس بالنسبة لإناث الهند، فقد أظهرت دراسة قام بها صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة أن 57 % من النساء في ولاية راغستان الهندية يتزوجن قبل أن يبلغن الثامنة عشرة، والأسوأ من ذلك أن هذه الولاية لا تزال تطبق التقليد القائم على تقديم أطفال في سن الثانية أو الثالثة للزواج. وقد انتشرت مؤخراً ظاهرة مخيفة في الهند، حيث تلجأ عائلات ميسورة إلى شراء فتيات فقيرات لتزويجهن بأبنائها، وذلك بعد إغراء عائلاتهن بمبالغ مالية ضخمة تقدم إليهن بعد الزواج.

وأد البنات

يرجع المختصون أسباب غلاء المهور في الهند إلى تضاؤل عدد الإناث مقارنة بعدد الذكور، فيصبح الزواج مسألة عرض وطلب، تماماً مثل التجارة، وترجع الدراسات السبب في تناقص عدد الإناث في الهند إلى انتشار ظاهرة وأد البنات في السنوات الأخيرة، فقد أتاحت الوسائل المتطورة في مجال التكنولوجيا الخاصة بالطب معرفة نوع الجنين في رحم الأم مسبقاً، وعندما يعلم الزوجان أن الطفل القادم أنثى يسرعان إلى الإجهاض، ما أدى إلى تناقص أعداد الإناث في الهند وتفاقم مشكلة عنوسة الرجال. وقد حمل تفاقم المشكلة القانون الهندي على التدخل بنص يمنع إجراء الفحوص الطبية التي تكشف عن نوع الجنين قبل ولادته، بل من حق الشرطة هناك أن تشن حملات اعتقال تستهدف الأطباء الذين يجرون هذه الفحوص.

لقد بلغت ظاهرة وأد البنات في الهند درجة بالغة القسوة، حيث يلجأ الآباء إلى قتل بناتهم حديثات الولادة، إما بتجويعهن حتى الموت أو دس السم لهن في الطعام. وقد شكل انخفاض عدد الإناث في الهند صدمة كبيرة للجهات الرسمية.

تبادل الأدوار

حسب التقاليد في العالم فإن الرجل يدفع المهر لعروسه، إلا أن واقع الحال مختلف تماماً في الهند، فالفتاة هي التي تدفع المهر للزوج المعروف باسم «دوري»، والأغرب من ذلك أن بعض العائلات تحجز الصبي منذ ولادته لتزويجه ابنتها، وتتكلف بجميع نفقاته حتى إكمال دراسته وتأمين مستقبله، فقط لكي يتزوج ابنتهم.

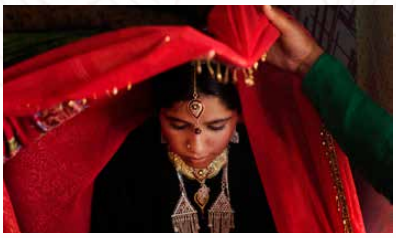

والمرأة الهندية ملزمة بدفع مهرها، إلا أن هناك عائلات توافق على تأجيل باقي المهر، على أن يتم تسديده في وقت لاحق، لكن يجب أن يسدد حتى وإن مرت سنوات على الزواج، ويجب عليها أن تدفع جميع المستحقات المترتبه للزوج، وإلا فالويل كل الويل إذا لم تلتزم بدفعها فيما بعد. وتختلف السن التي يتم فيها الزواج من منطقة إلى أخرى، فهناك بعض القبائل الصغيرة في ولاية راغستان شمالي الهند تعتبر أن سن الخامسة هو العمر المناسب لزواج أبنائها.

وقد تبين لبعثه تقصي الحقائق أنه عندما تتجول قوات الشرطة في قرى الولاية أثناء إقامة تلك الأعراس الجماعية، فإن هذه الجولات لا تكون بقصد منع تلك الاحتفالات أو إلغائها، بل لتأنيب أصحاب هذه الاحتفالات الممنوعة، وهي فرصة للحصول على رشوة مقابل السكوت عنها، والجميع يعلمون أن هذه التقاليد لن تنتهي فجأة، بل ستبقى مكرسة طالما أن السلطات المختصة لا تبذل أي جهد للحد منها، خاصة أن وضع المرأة لا يزال سيئاً ولا يتم السماح لها بالمشاركة في اتخاذ أي قرار يتعلق بحياتها الخاصة.

ويتذكر الهنود أثناء صراعهم هذا «المهاتما غاندي»، ومقاومته للزواج المبكر للأطفال، وهي المسألة الأكثر أهمية في حياتهم اليوم، والتي تؤرق الأهالي والسلطات المحلية والعالمية على حد سواء.

مرام.. طفلة زوجة.. وشابة أرملة

• فريق تحرير سيدة سوريا

أكثر ما فاجأني حين التقيتها، هو وجهها الذي ينضح بالحياة، ثقتها الكبيرة بنفسها، قسمات وجهها الصارمة التي ما تنفكّ توزّع الابتسامات وتزرعها في طريقها.

كنت أتوقع أن أشاهد امرأة أربعينية يائسة، تجرّ خطواتها جرّاً، تعلو وجهها ملامح اليأس والإحباط، غير أنني شاهدت سيدة مفعمة بالحياة، بكامل زينتها وتبرّجها، ترتدي حجاباً ملوّناً وترتّبه على طريقة «الصبايا»، بنطالاً فضفاضاً أسود، وسترة تصل إلى ما فوق ركبتيها.

استطاعت «مرام» أن تفرض استقلاليتها وحضورها أمامنا ونحن نستمع إليها، والأهم من ذلك كلّه أنها قادرة على السيطرة على مشاعرها، وتحييد نفسها حين تتحدّث عن تفاصيل تجربتها المريرة مع الحياة، التي أدخلتها عالم النساء، وهي ابنة اثني عشر عاماً.

فبعد خطوبة استمرّت عاماً وثلاثة أشهر، دخلت مرام عالم الزوجات وهي في عامها الثالث عشر، كان دخولها خجولاً، رحلتها إلى منزل الزوجية في حمص، كانت أشبه ما تكون برحلة بحرية، مجهولة الهدف، لا شيء يحوطها سوى الدهشة، ولا طوق نجاة ينقذها من غضب البحر.

كنت أخجل من التصريح بأنني مخطوبة

تتحدّث مرام عن خطوبتها لزوجها، عن خجلها الطفولي الشديد الذي لم يكن يستوعبه مجتمعها، كانت الخاطبات ينظرن بعيون فاحصة إلى تفاصيل جسمها، فيما كانت تنظر بحسرة إلى الدّمى في أيدي بناتهن، كانت تحسد أبناءهن حين يطلبون إليهم أن «يلعبوا في الحارة» كي يصرفوهم من المكان، ويتمكّنوا من فتح موضوع الخطبة الذي لا ينبغي أن يسمعه الأطفال، ولكن لا مشكلة في أن تكون المخطوبة طفلة!

بابتسامة هازئة ترتسم على شفتيها، ونظرة سارحة في البعيد تبادرني مرام: «خطبني كثيرون قبل زوجي، غير أني كنت أرفض، لم أكن أرغب في مغادرة أمي التي كانت أماً وأباً لي ولأخي، بعد أن فقدت والدي وأنا في الرابعة من العمر، واختارت أن تربينا، رافضة كل عروض الزواج، لكنّها هي من كانت تضغط عليّ للقبول، ولأن زوجي كان من حمص، وتربطه قرابة بجدّتي، قبلت.. كنت أحلم بمغادرة حماة..»

لم تكن مرام تعرف شيئاً عن الزواج، سوى أنه ارتداء فستان زفاف أبيض، وحليّ ذهبية، حين تمّت خطبتها، لم تكن قد وصلت إلى سن البلوغ، وبعد أن حاضت للمرة الأولى حدّد موعد زفافها..

تتابع مرام، وهي تستعيد ملامح الطفلة الخجولة على قسمات وجهها: «لم أكن أرتدي خاتم الخطبة في المدرسة، كنت طالبة في الصف السادس الابتدائي حين تمّت خطبتي، وكنت أخجل من الحديث عن موضوع الخطبة، ولأنني كنت الفتاة الوحيدة في البيت، وكنت أهاب والدتي لأنها تقوم بدور الأب، لم أكن أتمكّن من مصارحتها بشيء، حتى حين تزوّجت بقيت أكثر من أسبوع إلى أن تفهّمت ما يمكن أن

يجري بين الرجل والمرأة بعد الزواج، كنت أقيم حينها مع أهل زوجي!»

حقدي عليه كان يتزايد بازدياد معرفتي

تزوّجت مرام، وانتقلت إلى حمص، لتسكن مع أهل زوجها في المنزل نفسه، وهي الفتاة التي عاشت مدللة على الرغم من يتمها، فقد كانت والدتها على الرغم من خشونة تعاملها، تلبّي كل طلباتها، وكانت مقرّبة إلى أخوالها الذين لم يدّخروا جهداً في سبيل إسعادها، لتجد نفسها في مواجهة متطلّبات يصعب على طفلة تحمّلها، وتواجه مشاكل غيرة حماتها من اهتمام عمها (والد زوجها) بها، وتقديره لطفولتها، وكيد أخوات زوجها لها، كانوا يقيمون في الشقة ذاتها، وظلّت تحت سيطرة إرادتهم رغم أن زوجها بنى شقة صغيرة فوق بيت أهله.

عن هذه المرحلة، تقول السيدة الأربعينية التي سلبها الزواج المبكّر طفولتها، وحلمها بأن تبني بيتاً يواجه عواصف الحياة بثبات: «بعد زواجي بشهر واحد، بدأت أكتشف أن فرحتي بالفستان الأبيض والحليّ، كانت فرحة زائفة، وأن الحياة أصعب من أن نواجهها بالأحلام، بدأت مشاكلي بعد انقضاء شهر واحد، فمن غيرة والدة زوجي وأخواته من اهتمام والده الزائد بي، إلى طباع زوجي الصعبة، وضربه المبرح لي، وشكوكه في كلّ تصرّفاتي. أنا سيدة تحبّ الأناقة، تدلّل نفسها بالماكياج والعطورات، ولكنّه كان يثور ويغضب كلّما شاهدني بكامل زينتي، ويدّعي بأنّ ثمة رجل آخر في حياتي».

كان يستغل طفولتها، وجهلها بتفاصيل الحياة الزوجية، والدتها كانت بعيدة ليس في السكن فقط، وإنما لم تكن تتحدّث إلى ابنتها في أي من هذه الشؤون، على الرغم من أنها أقامت عند والدتها عامين متتالين إثر خلاف مع أهله، فيما كان هو يعمل في المنطقة الحرارية، ويأتي لرؤيتها في بيت أهلها أيام العطلة، ويزوّدها بالمصروف اللازم، الأمر الذي حسمته والدتها بالقول إنها ترغب في تزويج ابنها في البيت، وبيع جزء من ميراثها من أبيها لشراء بيت لهما في حمص.

«أول مرة عرفت فيها أن الزوجة تصل إلى مرحلة النشوة أثناء العلاقة الحميمة، كانت في سن السادسة والعشرين، حين أخبرتني جارتي عن ذلك الأمر، بدأت أطالب زوجي بالقيام بواجبه تجاهي على أتمّ وجه، حنق يومها عليّ، وضربني، وكسر أثاث المنزل، واتهمني بمصاحبة

الساقطات من الصديقات، اللواتي يرشدنني إلى طريق الرذيلة، ومنعني من زيارة أي من صديقاتي، باستثناء جارة واحدة لي في المبنى. حينها بدأت أحسّ بالغبن الشديد، وأدركت حجم استغلاله لجسدي خلال سنوات الزواج الثلاثة عشرة، التي أنجبت خلالها خمسة من أطفالي، لم أكن خلالها أشعر بأنني أنثى، بل كنت أشعر بأنني أداة للتنفيس عن رغباته!».

شجارات دائمة وزواج مع وقف التنفيذ

قضت مرام حياتها الزوجية كلّها، في حالة شجار دائم، كثيراً ما أقامت في بيت أهلها، لتعود لبيت الزوجية في نهاية المطاف، فلا المجتمع يقبل بانفصالها عن زوجها، ولا هي قادرة على اتخاذ قرار الطلاق في ظل وجود ستة أولاد، أكبرهم بنتان، تخشى عليهما من مجتمع ذكوري لا يرحم الأنثى مهما كان سنّها أو ظرفها، حتى أنها زوجتهما هما الأخريين في سن صغيرة، علها تستطيع بعدها أن تفكّر في طلب الطلاق، دون خشية المجتمع.

أولى البنتين وهي الأصغر، تكلّل زواجها بالنجاح، مع أن أباها حرم أمها من حضور زفافها بسبب خلافهما، والثانية كانت أولى زياراتها لبيت والدها بعد الزواج، عند وفاته، ولتعود إليه مطلّقة بعد أن أرغمها والدها على الزواج من رجل جاهل، وهي التي كانت قد وصلت إلى نهاية التعليم الثانوي، فيما هو لم يتم تعليمه الابتدائي، لمجرّد كونه غنياً.

«في آخر مرة تركت فيها المنزل، قرّرت العودة لأنه بيتي، وهو كان يتوقع أن تبقى ابنتيّ لتخدماه، ولكنهما آثرتا العودة معي إلى بيت جدهما، حينها أرغم على القبول بعودتي، لكنني فرضت شروطي عليه، وأخبرته بأنني عدت من أجل تربية أولادي، كنا ننام في غرفة واحدة، ولكن كلّ أشكال التواصل بيننا منقطعة تماماً، امتدّ هذا الأمر على مدى عامين ونصف، زوجت خلالهما ابنتي، وانتهى الأمر بموته»... تتابع مرام، وهي تحاول بجبروت الأنثى أن تخفي دمعة حبيسة بين جفنيها، وضبط لون وجهها، وإيقاع صوتها الذي بدأ يختنق: «أحرق وجهي مرّتين خلال العامين والنصف الذين سبقا وفاته، إحدى المرّتين كادت تودي بحياتي، خاصة وأنه كان يمنعني من الخروج من المنزل، فاصطحبتني جارتي إلى الطبيب رغماً عنه».

مرام، امرأة ككثير من النساء في عالمنا العربي، عاشت للآخرين طيلة حياتها، كانت أماً في الرابعة عشرة، أرملة في الخامسة والثلاثين، وجدّة بعدها بعام.

ظنّت أنها بوفاة زوجها، قد تستعيد مفاتيح حياتها، ولكنها لم تستطع، فلا الحبيب الذي اختارته بملء إرادتها بعد وفاة زوجها بثلاثة أعوام، كان أهلاً للثقة، عاشت معه لحظات تعرّفت إلى أنوثتها في ظل عقد زواج مع وقف التنفيذ، وتركها في نهاية المطاف بعد أن غادرت البلد، ولا أبناؤها الذين يعتبرون أنّ لهم حق الوصاية عليها، كونها ما زالت في سن يجعلها مطمعاً للرجال، وهم في عنفوان شبابهم.

مرام، الأم الطفلة، والأرملة الشابة.. امرأة كما الكثيرات محكومة لمجتمع ذكوري يرى أن جلّ ما تستحقه هو الدفن.. زوجة في الطفولة، وفي القبر بعد وفاة الزوج!

سجل المعلومات فيما يخصّ حماية الأطفال

زواج الأطفال

• ترجمة: ليلى كريم

زواج الأطفال هو انتهاك لحقوق الإنسان، للإناث وكذلك الذكور على حد سواء، لكن قد يكون الشكل الأكثر انتشاراً هو الاعتداء والاستغلال الجنسي للفتيات.. هناك أيضاً الانفصال عن الأسرة والأصدقاء، والحرمان من حرية التفاعل مع الأقران ومن المشاركة في الأنشطة الاجتماعية وتقييد الفرص التعليمية، كلّ ذلك يُعد من الآثار السلبية لمثل هذه الزيجات.

كما يمكن لزواج الأطفال أن يؤدي للعمل في ظل الإكراه والعبودية والاستغلال الجنسي لأغراض التجارة والعنف لأن الفتيات لا يستطعن رفض ممارسة الجنس أو أن يطلبن استخدام الواقي الذكري. غالباً ما تواجه الفتيات المتزوجات مخاطر جدية على المستوى الصحي، مثل الحمل المبكر أو الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي والوصول شيئاً فشيئاً إلى فيروس نقص المناعة البشرية، الإيدز.

في بعض الحالات، يسمح الآباء بزواج أطفالهم لضرورات اقتصادية، كما يمكن أن يُعتبر الزواج وسيلة لوضع الفتاة تحت وصاية رجل لحمايتها من اعتداء جنسي محتمل، ولتجنب الحمل خارج إطار الزواج، وكذلك لتمديد فترة الإنجاب لضمان تقديمها إلى أسرة الزوج.

تهيئة بيئة حامية من أجل الأطفال

حقائق وأرقام

• على الصعيد العالمي، 36 ٪ من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين 20 و 24 عاماً متزوجات أو عشن التجربة الأسرية قبل سن الـ 18.

• عدد المراهقات البالغات من العمر مابين 15 إلى 19 عاماً اللواتي يلدن كل عام يقدر بنحو 14 مليون، وتكون الفتيات من هذه الفئة العمرية عرضة أكثر مرتين لمخاطر الموت أثناء الحمل والولادة من النساء اللاتي يبلغن من العمر 20 إلى 30 عاماً.

• غير أن الزواج المبكر للفتيات هو الأكثر شيوعاً في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وفي آسيا الجنوبية، ففي النيجر 77 ٪ من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن مابين20 إلى 24 عاماً تزوجن قبل سن 18. وفي بنغلاديش تبلغ النسبة 65 %.

التزام الحكومات وقدرتها على العمل

يكمن دور المؤسسات الحكومية والمجتمع المدني في تأسيس وتطوير أنظمة لمنع أو إبطاء زواج الأطفال. ومن الضروري تدخل الحكومة لمراجعة القوانين العرفية والمدنية.

يرتبط زواج الأطفال بشكل وثيق بالفقر، لذا فإنّ التزام الحكومة للحد من الفقر قد يُقلّل، وبشكل جيد، من عدد زيجات الأطفال.

التشريعات وتطبيقاتها

على الحكومة أن تثبت سن الـ 18 باعتباره السن القانوني لزواج الفتيات وكذلك الفتيان، وأن تسهر على ضمان تنفيذ هذا القانون. إنّ تشجيع تسجيل الولادات والزيجات سيساعد على تطبيق هذه القوانين.

مواقف، عادات وممارسات

من الصعب وضع حد لزواج الأطفال لأنه حتى الآباء والأمهات الذين يعون النتائج السلبية لمثل هذه الزيجات، فإنه من الصعب بالنسبة لهم مقاومة الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، كذلك مقاومة التقاليد لتغيير العمر الذي يصبح فيه الزواج مقبولاً، من الضروري مقاومة العادات والتقاليد التي تفضل وتعزز هذه الممارسات.

النقاش الحر

في كثير من الثقافات، يُعرف الزواج بانتمائه إلى المجال الخاص. يمكن أن تشكل حملات الاتصال فرصةً لمناقشة المعتقدات التقليدية الخاصة به لتشجيع تحسين السلوك في المجتمعات، يجب أن نركز على الحقوق الأساسية، خاصةً حقوق المرأة، بما في ذلك المساواة، والحصول على التعليم والحماية من الاستغلال والتمييز.

حقوق الإنسان

تم الاعتراف بالحق في الموافقة الحرة والكاملة على الزواج في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، إلا أن هذه الموافقة لايمكن أن تكون «حرة وكاملة» خاصةً عندما لايكون أحد الأطراف قد وصل إلى سن المعرفة التي يستطيع معها اختيار الزوج. اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة 1979 ينص على أن خطبة وزواج الأطفال ليس لهما أي أثر قانوني، وجميع التدابير اللازمة، بما في ذلك الأحكام التشريعية، يجب اتخاذها لتحديد السن الأدنى للزواج. وقد أوصت لجنة القضاء لإزالة التنميز ضد المرأة بتحديد هذا السن بال 18 عاماً.

مهارات، معارف ومشاركات الأطفال

من الأهمية بمكان تعزيز المعرفة لدى الأطفال، خاصة الفتيات. فعندما يتم تعليمهن، يكن أقل عرضة للموافقة على الزواج المبكر.

لردم الهوة بين الجنسين وخاصةً في مجال التعليم، يمكننا وبشكل خاص بناء مدارس توائم الأطفال، وتقديم حوافز مالية للآباء الذين يرسلون أطفالهم إلى المدارس، وكذلك تطوير طرق التعليم غير التقليدية.

قدرة عمل الأسر والمجتمعات المحلية

منظمات المجتمع المدني النسوية تحتاج الدعم لأداء دورها في التعبئة والتعليم على نحوٍ فعّال، برامج التطوير والتعليم القائمة على حقوق الإنسان يمكنها أن تقدمً ديناميكية مواتية لتغيير العادات والتسلسلات الهرمية والأحكام المسبقة المحيطة بتقليد زواج الأطفال.

خدمات أساسية، بما في ذلك الوقاية، الشفاء وإعادة الاندماج

لا بد من أن نضع تحت تصرف الفتيات خدمات تقديم المشورة بخصوص الاعتداء والصحة الإنجابية والحماية من فيروس نقص المناعة البشرية. وبشكل خاص تحتاج الفتيات اللائي يغادرن زواجهن خلال فترة قصيرة إلى دعم عاجل، مثل اللواتي يغادرن منازل أسرهن عندما يجبرهن هؤلاء على الزواج دون إرادتهن.

المتابعة، إعداد التقارير والرقابة

الدراسات الاستقصائية عن التركيبة السكانية والصحية والاستقصاءات العنقودية متعددة المؤشرات تتجمع لإعطاء بيانات مفيدة عن مدى انتشار وأسباب زواج الأطفال. وضع أنظمة متابعة ورصد على مستوى المجتمعات المحلية يمكنها أن تساعد أيضاً في تحديد وتيرة مثل هذه الزيجات، ومن المهم تشجيع تسجيل الزواج.

أمثلة عن عمل UNICEF منظمة الأمم المتحدة للطفولة

على الصعيد العالمي، تكافح UNICEF (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) ضد تزويج الأطفال، خاصةً بتشجيعها لتعليم الفتيات. وقد أشارت الأبحاث إلى أن المستوى العالي لتعليم الفتيات يساعد على منع تزويج الأطفال.

منظمة UNICEF هي الوكالة الرائدة التي تقود مبادرة الأمم المتحدة لتعليم الفتيات، والتي يهدف إلى ضمان، تمكن جميع أطفال العالم من إتمام التعليم الابتدائي، من الآن وحتى العام 2015.

في بنغلاديش، تقدم اليونيسف الدعم لمشروع «كيشوري آدهيجان»، الذي يهدف إلى تعزيز حقوق المراهقات وإلى مكافحة انتهاكات هذه الحقوق، مثل زواج الأطفال والمهر. يوفر المشروع التعليم والتدريب ويقوم بدمج نشاطات اقتصادية لتتمكن مجموعات من المراهقين من مساعدة بعضهم البعض للحصول على مهارات تسمح لهم بكسب لقمة عيشهم.

أهداف الألفية من أجل التطوير

زواج الأطفال على حد سواء وسيلة للكفاح ضد البؤس وممارسة غير ضارة تبقي الأسر على فقرها. فالأطفال المتزوجون يكونون معزولين بشكل عام، مُبعدين عن أسرهم، مسحوبين من المدرسة ولديهم علاقات خاصة مع أقرانهم ومع باقي المجتمع. بالنسبة للفتيات فإن الحمل المبكر يعرض صحتهن لمخاطر عالية جداً، بما في ذلك الوفاة أثناء الولادة. فضلاً عن المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها مواليدهن.

الفتيات المراهقات أكثر عرضة من البالغات للأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي. وبما أن الزواج لمن هم دون سن الـ18 شائع جداً في العديد من البلدان التي تعاني صعوبات اقتصادية وصحية، فإنه يصبح عقبةً في طريق تحقيق أهداف البرامج التنموية، خاصّة فيما يتعلق بالقضاء على الفقر والجوع.

«الهدف الأول»: تحقيق تعميم التعليم الابتدائي العالمي.

«الهدف الثاني»: تعزيز المساواة بين الجنسين.

«الهدف الثالث»: حماية حياة الأطفال.

«الهدف الرابع»: تحسين الصحة.

الزواج المبكر في اليمن
الفقر والجهل والفهم الخاطئ للدين

• بحرية شمشير علي . اليمن
خبيرة بالنوع الاجتماعي

ينتشر الزواج المبكر في المجتمع الريفي والأسر الريفية اليمنية أكثر منه في المدن، وذلك بسبب الجهل والأمية، وأيضاً الفقر المدقع، كما أن الأعباء الكثيرة التي تتحملها المرأة الريفية في الأعمال الزراعية وتربية الحيوانات جعلتها أكثر طلباً للزواج لمساعدة أهل الزوج، هذه الظاهرة أدت في النهاية إلى تسرب الفتيات من التعليم، وتدني المستوى التعليمي في الأسرة، وزيادة معدل النمو السكاني وعدد الوفيات بين الفتيات، وتدهور الصحة عند النساء بسبب زيادة الإنجاب، كما أن زواج المرأة في دون سن البلوغ جعلها عرضة لحالات الطلاق، وذلك لعدم استعدادها للحياة الزوجية ولا للإنجاب أوتربية الأطفال، لأنها تعتبر طفلة وفق قانون حقوق الإنسان.
ومن أهم أسباب زواج الفتاة في سن مبكرة الفقر، الذي يدفع بكثير من الأسر إلى تزويج بناتها لكي تخفف من مصاريف وتكاليف المعيشة.
إن الزواج المبكر المنتشر في الأسر الريفية أدى بدوره إلى خلق مجتمع غير مؤهل للمشاركة في التنمية الشاملة.

أشكال الزواج المبكر في الريف اليمني:

- إجبار الفتاة الصغيرة على الزواج من ابن عمها.
- زواج السادة.
- زواج الشغار (زواج البدل).
- الزواج الجماعي، حيث تزوج الفتاة بعد تسربها من المدرسة من الصف السادس أو السابع ابتدائي.
- الزواج السياحي.

يدّعي الشيخ «محمد بن ناصر الحزمي»، عضو مجلس النواب وأحد المناهضين لتحديد سن الزواج «أن منع الزواج المبكر وتحديده بسن معينة، ومعاقبة من أراد أن يعف ابنه أو ابنته بالزواج قبل هذا السن بالسجن والغرامة المالية، ماهو إلا تحريم لما أحله الله سبحانه وتعالى في كتابه، وتجريم لفعل فعله النبي صلعم والتابعون».

أما الشيخ «جبري حسن»، عضو جمعية علماء اليمن وأحد المناصرين للأمومة المأمونة وتحديد سن آمن للزواج، فيرى أن نظرة متعمقة لزواج الأطفال أو الفتيات خصوصاً، من شأنها أن تكوّن اعتبارات مختلفة لما فيه من تناقض مع المنظور الإسلامي الشامل للزواج، فالزواج المبكر يفتقد إلى مقومات الزواج الأساسية، لأنها مرحلة الطفولة التي تتسم بعدم اكتمال النمو البدني، وخصوصاً للأجهزة التناسلية، وعدم القدرة على الحمل عند الفتاة، وعدم بلوغ النضج النفسي الكافي لتحمل عبء الزواج وتبعاته».

تعريف الصحة الإنجابية:

ورد في برنامج المؤتمر الدولي للسكان والتنمية

نجود علي. اليمنية. في العاشرة من عمرها. طلقت زوجها الذي يكبرها بعشرين عاماً

الذي عقد في القاهرة عام 1994 أنها «حالة السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، وليست مجرد انعدام المرض والعجز في جميع الأمور المتعلقة بالجهاز التناسلي ووظائفه وعملياته».

ترى الدكتورة «عفاف الحيمي» من جامعة صنعاء أن «المشكلات التي تتعرض لها الفتاة في العلاقة الزوجية المبكرة كثيرة منها: أن الطفلة الأم والزوجة الصغيرة تتعرض لمسؤولية كبيرة لا تقدر على تحملها، مما يؤدي إلى توتر ذهنها ومضاعفات كثيرة، من أهمها ترك التعليم الذي يعتبر ضرورياً للمرأة، وأهم عناصر الحياة وهو التعليم. كذلك تتسرب الإناث من المدارس وتحرم المتزوجة وهي صغيرة من بناء شخصيتها الاجتماعية، فتصبح مشوهة من الداخل، وتشعر بالضعف تجاه الآخرين وخاصة الرجل الذي هو زوجها أو ابنها أو أخوها، فلا تستطيع أن تحتج أو تنتقد، وتشعر دائماً بأنها إنسان ضعيف».

تشير الأرقام إلى ارتفاع نسبة النساء المتزوجات في أعمار صغيرة، إذ إن الفئة العمرية من 10 – 19 سنة قد شكلت 75 % مقابل 25 % للرجال في نفس الفئة العمرية. وتشير كذلك إلى ارتفاع نسبة النساء المتزوجات في أعمار صغيرة. وفقاً لتقديرات الجهاز المركزي للإحصاء ووفقاً لنتائج المسح الديمغرافي لصحة الأم والطفل، فإن الزواج المبكر ينتشر بين الفئة العمرية من 15 – 18 سنة، حيث وصلت نسبته الى 48 %،13 % منهن قد تزوجن أكثر من مرة.

أما عن الرؤية العلمية للموضوع، فقد قامت «شبكة شيماء لمناهضة العنف ضد المرأة» بإعداد دراسة حول الزواج المبكر، استهدفت ثلاث محافظات هي صنعاء، الحديدة وحضرموت، تطرقت الدراسة لعلاقة الزواج المبكر بحقوق الإنسان والطفل، حيث اعتبرت أن زواج الصغيرات مظهر من مظاهر ثقافة التمييز، وذلك بناء على الاتفاقية الدولية لمكافحة كافة شكال التمييز ضد المرأة «سيداو»، حيث تبين الاتفاقية أن التمييز اجتماعي ثقافي وليس قانونياً.

الدراسة التي تمت في المحافظات الثلاث، تظهر انتشار البنى والممارسات الثقافية التقليدية التي تقوم على أساس التمييز بين الرجل والمرأة، واتضح من خلال البحث الميداني أن توجهات السكان نحو الزواج المبكر تمثل مظهراً من مظاهر التمييز القائم على أساس النوع الاجتماعي، فعلى سبيل المثال يرى 26.6 % من أفراد العينة أنه من الأفضل للفتاة الزواج قبل بلوغها سن الثامنة عشر.

لتحليل وضع المرأة الريفية يجب على المرء أن يدرك الاختلافات الإقليمية في أدوار المرأة ووظائفها، علاوة على ظروفها العامة، بما في ذلك الظروف السياسية، الاقتصادية والاجتماعية.لا زال قرار الزواج في المجتمع اليمني شأناً عائلياً أكثر منه فردياً، إذ عادة ما يتم الاتفاق بين العائلتين، لا بين طرفي العلاقة المباشرة (الولد والبنت)، حيث

يتم الاتفاق والتراضي بين الآباء، الأعمام والأجداد، الذين يبررون احتكارهم لعمليات اتخاذ القرارات الخاصة بزواج أبنائهم، بأنهم أعلم بمصالح الأبناء، وهم في الحقيقة يرغبون في فرض الامتثال للمعايير التقليدية على الأبناء، والحفاظ على التوجهات والقيم التقليدية (الاجتماعية منها والثقافية)، والمصالح العائلية.

أشارت عدة دراسات إلى أن فئات واسعة من المجتمع اليمني لا تزال حبيسة النظرة التقليدية للمرأة، التي تستند إلى عدم المساواة والفهم الخاطئ والممارسات الاجتماعية والثقافية التي أوصلت المرأة لموقع متدنّ.

الزواجً المبكر الذي أثير في الآونة الأخيرة يعتبر ظاهرة تستحق البحث والمناقشة، لأنها قد تكون أحد أسباب بطء التطور الاجتماعي والاقتصادي في الحياة اليمنية، كونها تثقل كاهل الزوجين الصغيرين قبل الآوان.

الأسباب والدوافع لزواج الصغيرات:

- الفهم الخاطئ لمسألة الدين، إذ يعتبر الزواج «نصف الدين».
- انخفاض المستوى التعليمي وعدم وجود المدارس الكافية لتسهيل تعليم الفتاة، كذلك عدم وجود صفوف محو الأمية لمتابعة الدراسة المسائية.
- قلة وعي المرأة الريفية، نتيجة العادات والتقاليد التي تمنعها من المشاركة المجتمعية.
- عدم وجود المنظمات النسائية الفاعلة في مناطق الأرياف، لتوعية الآباء والأسر بمضار الزواج المبكر.
- من أهم هذه العوامل خلفية المرأة الاجتماعية، حيث يلعب هذا الجانب دوراً كبيراً في تقبلها للعنف الواقع عليها.
- الفقر والعامل الاقتصادي، وارتباطها بالزوج أو الطلاق، وتقبلها الذل والمهانة نتيجة لصغر سنها.
- قلة وعي الأهل بمضار الزواج المبكر.
- عدم تضييع فرصة وجود زوج (بنظر الأهل) جيد مادياً واجتماعياً.
- رغبة أهل الشاب تزويج ابنهم بفتاة صغيرة تسهل السيطرة عليها.
- رغبة الرجل الزواج بفتاة صغيرة سهل تطويعها ويمكنه التحكم بها.
- عند بلوغ الفتاة سن العاشرة، يصبح هم الأسرة تزويجها، باعتبارها شرف العائلة، بحجة سترها.
- ميل الأسر الفقيرة لتزويج بناتهن في سن مبكرة، للتخفيف من المصاريف وتكاليف التعليم.

موقف الدولة:

بالرغم من أن الحكومة اليمنية قد صادقت على اتفاقية السيداو واتفاقية حقوق الطفل، فإن موقف أعضاء مجلس النواب ما زال غامضاً حتى يومنا هذا، وليس هناك من موقف واضح وصريح لإصدار قانون يحدد سن الزواج.

موقف علماء الدين:

ليس لعلماء الدين كذلك موقف واضح، والأغلبية منهم مع تزويج الصغيرات، وهذا ما نستدل عليه من خلال خطب الجمعة وطلب الاقتداء بالرسول الكريم في زواجه من عائشة رضي الله عنها، وما حلله الشرع، فكيف للإنسان أن يحرمه، فكما يقال: إن زواج الصغيرات يدخل في بوتقة الحفاظ على الشرف والأخلاق الحميدة، فيما تتعرض له أخلاق البنات وتتأثر بأجهزة الإعلام المرئية.

موقف العامة:

غالبية الناس ضد هذا الزواج، حتى في المناطق الريفية، وخاصة الأسر التي تعرضت بناتها لتجربة زواج قاسية، لكن الجهل وموضوع الستر والأخلاق يلعب دوراً هاماً، أضف إلى ذلك عدم وجود الأئمة المستنيرين في المناطق الريفية والنائية، إضافة إلى الفقر والأمية، اللذان يعتبران عاملين حاسمين في هذه القضية.

موقف المانحين:

ليس هناك من خطط واضحة تجاه هذه الظاهرة للحد والتخفيف منها، فمثلاً منظمة الأغذية تتخذ من موضوع الحد من تسرب الفتيات من المدارس موقفاً يتجلى بإعطاء فتيات الريف أغذية، لكن هذا لا يمنع الظاهرة ولا يخفف منها، فهو إجراء مؤقت، خاصة وأن الغالبية من سكان الريف فقراء، تتفشى الأمية بينهم، فيلجأ رب الأسرة إلى تزويج ابنته الصغيرة للتخلص من أعبائها.

ما يتبغي فعله هو الضغط على الدولة لاتخاذ إجراءات واضحة وصريحة، أي إصدار قانون يحمي الفتاة الصغيرة ويحدد سن الزواج.

مقترحات وحلول:

- مراجعة وتعديل القوانين والتشريعات لتتلاءم مع الدستور والمعاهدات الدولية.
- الاستناد إلى اتفاقية حقوق الطفل التي وقعت عليها الحكومة اليمنية لتحديد سن الزواج.
- تحديد السن الأدنى للزواج في التشريع الوطني، عن طريق وسائل مناصرة مختلفة ومتكاملة.
- دعم حملات المناصرة الداعية إلى تثبيت الحد الأدنى لسن الزواج في القانون.
- دعم الاستمرار في توعية المجتمع بمخاطر تزويج الصغيرات.
- إيجاد الدعم لمنظمات المجتمع المدني للعمل مع الأجهزة الإعلامية المسموعة والمقروءة على برامج توعية.
- تبني وزارة التربية والتعليم، كذلك وزارة الأوقاف موضوع الزواج المبكر، من خلال الكتاب المدرسي، ومن خلال خطبة الجمعة التي توزع على المساجد أسبوعياً.
- إيجاد الدعم من المانحين ودول الجوار، لرفع الوعي من خلال المدارس، وخاصة في المرحلة الأساسية من التعليم الابتدائي.
- تفعيل دور المجلس المحلي في كل مديرية وخاصة اللجنة الاجتماعية فيما يخص الصحة الإنجابية.
- تفعيل قانون التعليم الإلزامي للمرحلة الأساسية (يستهدف استيعاب السكان في الفئة العمرية 6 – 14 سنة).
- بناء مدارس خاصة بالبنات، قريبة من التجمعات السكانية، وإيجاد كادر تعليمي نسائي.
- الاهتمام بصفوف محو الأمية، والاهتمام بمواصلة الفتيات تعليمهن المسائي.
- تفعيل دور الأزهر الشريف، ليقوم بدوره التعبوي والإعلامي، بإعداد مرشدين يقومون على برامج توعوية للآباء، لرفع الوعي بمخاطر الزواج المبكر وكلفته الاجتماعية.
- بناء بيوت الإغاثة أو الرعاية للهاربات من أسرهن، فالغالبية منهن قاصرات، يأتين من االريف بسبب العنف الذي مورس تحت مسمى الزواج المبكر.

ثنائية الموت والجنس لدى «داعش»

• صبيحة خليل

قالت الدكتورة نوال السعداوي ذات مرة إن بعض رجال الدين لديهم لوثة جنسية، ولا يتحدثون إلا عن المرأة والجنس، حينها قامت الدنيا ولم تقعد من قبل المتشددين منهم، حتى إن البعض قاموا بتكفيرها، وطالبوا بضرورة القصاص منها ووضع حد لأمثالها، ممن يتجرؤون على مناقشة سيكولوجية هؤلاء الرجال وفضح دوافعهم الغريزية، وعلاقتها بمنحى الفتاوى الدينية، خاصة تلك التي تشكل صدمة للرأي العام، كونها تخرج عن الأعراف العامة والمألوفة التي عهدها الناس، والتي تراكمت وتأصلت نتيجة الخبرة والتجربة المجتمعية والقيم الدينية التي تزاوجت وأنتجت معايير باتت من المسلمات والبديهيات.

اليوم، وبعدما أخذ التطرف مدى شاسعاً في أكثر من بقعة جغرافية على امتداد العالم العربي، وصارت له تنظيماته وموارده المالية والبشرية، واستحوذ على جزء ليس بقليل من الأرض نتيجة امتلاكه السلاح، مستفيداً من جملة الظروف الراهنة التي تعصف بالعديد من بلداننا، أخذت هذه اللوثة الجنسية تتبلور وتغدو أكثر وضوحاً في مواقع عديدة، خاصة في البؤر الساخنة، كمدينتي الموصل العراقية والرقة السورية، وكلتاهما ضحية دولة الخلافة المزعومة، تلك الخلافة التي تؤرق اليوم المجتمع الدولي وتدفعه للتحالف والتعاضد لمواجهتها، منذ قطعت (بطريقتها الاستعراضية) رؤوساً أميركية وأوربية. ولأن هذه التنظيمات تدرك جيداً في نفس الوقت مدى البشاعة والأهوال التي سطرتها خلال الفترة القصيرة من حكمها، كان لابد من خلفية مشهدية تتناسب مع واقع الذبح والقتل الرخيص، تخفف من وطأة تشريح الجسد البشري بهذا الشكل المقزز والانتقامي في أذهان المشاهدين، الذين هم في واقع الحال رهائن هذه القوى الطارئة، وتطمئن في نفس الوقت القاتل، ليجد لنفسه مسوغات ودوافع تعمل على مدّ هذه الصيرورة القاسية من الدم والتنكيل، لديمومتها وعدم توقفها لحين الوصول إلى احتلال ما تبقى من عقل قد يمكنه من إعادة الأمور إلى ما وصل إليه الفكر البشري من ثقافة وتحضر، ليغدو جزءاً أصيلاً من مسننات هذه المكنة التي تجز رقاب العباد على اختلاف مشاربهم.

وهكذا يتحفنا اليوم «داعش» وأشباهه بمشهدين مختلفين، أحدهما مروع وقاس بكل ما للكلمة من معنى، والآخر مثير وجنسي بكل ما للكلمتين من دلالة أيضاً، ربما محاكاة لما أنتجته صناعة السينما الرخيصة التي تبحث عن جمهور عريض يمول شباك التذاكر، والجمهور المستهدف هنا هو بالتأكيد الجماهير العربية التي ترزح تحت قمع الاستبداد والجهل والتخلف والأمية.

بالتأكيد ما من أحد منا لم يشاهد فيلماً، خاصة في أيام المراهقة، حيث يقوم البطل، وهو دائماً ذكر إلا فيما ندر، بصولات وجولات من المطاردة والقتل والتفنن بتعذيب الآخرين والهروب من قبضة الشرطة، ثم في النهاية نجده في مشهد ساخن على سرير وثير مع حبيبته التي تظهر فجأة وتمنحه جسدها لقاء ما أتحفنا به من عنف وتنكيل. هذه المقاربة تبدو اليوم واضحة وجلية فيما تقوم به القوى الظلامية المتعكزة على تأويلات فضفاضة للنص القرآني أو السنة النبوية، مستفيدة من تعدد مصادر التفسير، واجتهادات بعض الغلاة من الفقهاء، فقد قامت (أي هذه القوى الظلامية) بمزج العنف كأداة ترهيب وسطوة، والجنس كغريزة لا تقاوم، لتعيد مرة أخرى إنتاج الجهاد، ذاك المنتج الذي صار جزءاً من الماضي، وتُسقِط مصطلحات مثل النضال، الكفاح، الدولة المدنية والديمقراطية. صحيح أن «الجهاد» بما للكلمة من بعد ديني وتاريخي ليس بجديد على ثقافة العالم الإسلامي، إلا أنه وضمن تلك الظروف كان يتماشى ربما مع روح ذاك العصر، كمادة حماسية للتحفيز على خوض المعارك والدفاع عن المعتقدات وعن الوجود. يضاف إلى ذلك جملة التوازنات والأطماع وتكوينات الدول والإمبراطوريات والصراعات فيما بينها، كل ذلك ضمن سياقات تلك المرحلة. أما اليوم، ونحن على مسافة جاوزت الأربعة عشر قرناً، فمن الغباء إعادة إنتاج الماضي بكل مفرداته واعتبار الحاضر امتداداً له. لا، بل اعتبار الماضي جاثماً فوق صدورنا ولم يبرح مكانه قيد أنملة، وهذا ما تفعله اليوم القوى الظلامية التي ركبت موجة الربيع العربي وعكرت صفوه بتقلباتها الماضوية الطارئة.

إن ما نشهده اليوم من سبي وبيع للنساء في أسواق النخاسة، (لدرجة أن بعض الأمور صارت ضمن الحدود الطبيعية، كأن يهدي مجاهد زميله إحدى السبايا أو يعيره إياها لقاء أجر، بعدما أصدر التنظيم قوانينه الأخيرة من عاصمة الخلافة) قد شكل صدمة للشارع الشعبي. تلك القوانين الملفوفة بسلوفان الجنس والشبق والإغواء، ووعود بحور العين اللواتي يشبهن دائماً نجمات الجنس في قوامهن ورشاقتهن. إنه نفس الطعم بين قوسين (الأنثى) وبعد تحويلها لسلعة، بهدف اصطياد المزيد من الشباب والرجال المغرر بهم، لزجهم في لعبة الجهاد، بل الانتحار، لعبة أقل ما يمكن القول عنها إن الجنس هو حاملها الحقيقي، سواء كان في الخطاب الديني أو في الأناشيد الحماسية أو التشريعات والفتاوى الصادرة عن هذه الجماعات المتطرفة. فالمكافئة دائماً المزيد من العطايا الجنسية وحرية اللعب ضمن هذا المضمار. وربما هذا ما يدعونا للوقوف ومراجعة مقولة الدكتورة نوال السعداوي، والتفكر فيها بشجاعة دونما خوف من ردات الفعل الصادرة عمن يمتلكون السلاح بدعوى الجهاد لا بدعوى الدفاع أو مناصرة قضية شعب مكلوم تواق للحرية والديمقراطية.

إنهاء تزويج القاصرات

دراسة من إعداد الاتحاد العالمي لتنظيم الأسرة بالتعاون مع منتدى تزويج وحقوق المرأة والفتاة

• فريق ترجمة سيدة سوريا

مقدمة: لماذا يشكل تزويج القاصرات قضيةً ومصدر قلق للمجتمع الدولي؟

لا تزال الدول النامية إلى اليوم، تتجاهل الآثار المدمرة لتزويج القاصرات، حيث يتم حرمان الملايين من الفتيات المتزوجات، وبعضهن بالكاد في سن البلوغ، من الحصول على الخدمات الصحية والتعليم والفرص الاقتصادية. كما وتجد غالبية القاصرات، في هذه الدول، أنفسهنّ في مواجهة مسؤوليات تفوق طاقتهنّ، ولا سيما فيما يتعلق بمتابعة أدوارهنّ كزوجات وأمهات، دون دعم ودون موارد وقدرات كافية.

تجد القاصر نفسها في هذا الموقف، على الرغم من وجود العديد من القوانين والاتفاقيات الدولية والإقليمية المتعلقة بحقوق الإنسان التي تحارب هذه الممارسة وهذا الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان، فمن الواضح أن الاتفاقيات الدولية المتعلقة بتزويج القاصرات وبحقوق الإنسان هي في أحسن الأحوال ومن حيث المبدأ، مجرد خطابات أو تصريحات عامة، دون أي سياسة وطنية أو آلية فعالة للتنفيذ والتطبيق. لذلك أصبح من الضروري جداً الآن أن تتم الإجراءات والتدابير بشكل مختلف، بحيث تتحقق البرامج الإنمائية الدولية التي اعتمدتها الدول على مدى العقد الماضي، وخاصة برنامج العمل الذي أقرّه المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (ICPD) وكذلك نتائج المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة وبالقاصرات.

يعتبر تزويج القاصرات، في بعض الثقافات، ضرورة اجتماعية، لكن يأتي هذا النوع من التزويج في كثير من الحالات ضمن إطار «الاعتداء الجنسي على القاصرات واستغلالهنّ بتصريح رسمي من المجتمع». وتعد هذه الممارسة واحدة من أكثر أشكال استمرار الاعتداء الجنسي المسموح به على الفتيات والشابات. وإذا كان هذا الترتيب مقبولاً اجتماعياً، فإنه لا يقلل من حقيقة أن القاصر تتعرض عمداً للاعتداء والاستغلال الجنسي، ويكون ذلك غالباً من قبل الوالدين والأسرة. يجب إنهاء الصمت إزاء محنة هؤلاء العرائس القاصرات، ولا سيما أن دلائل ملموسة تشير على نحو متزايد إلى أن تزويج القاصرات يعد أحد عوامل خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية. كما أن تزويج الفتاة في سن مبكرة يؤدي إلى محدودية سلطتها في صنع القرار، خاصةً في المسائل الأسرية، وإلى محدودية فرصها الاقتصادية وأيضاً إلى تعرضها للعديد من المخاطر الصحية.

ويقدم الآباء وأولياء الأمور الكثير من الأسباب الوجيهة لتبرير تزويج بناتهن في سن مبكرة، وغالباً ما يرتكز قرار التزويج على جوانب اقتصادية تتعلق بشكل مباشر بالفقر وانعدام الفرص الاقتصادية للفتيات في المناطق الريفية. وفي بعض الأحيان، تشكل الفتاة بالنسبة للآباء، إما عبئاً اقتصادياً أو رأس مال قيّم يمكن مقايضته بالممتلكات أو المال أو حتى بالماشية. مزيج من المبررات المتعلقة بالثقافة المحلية أو بالعادات والتقاليد والدين. وغالباً ما يكون تزويج القاصرات ناجماً عن الخوف من وصمة العار المرتبطة بالجنس قبل الزواج والإنجاب خارج إطار الزوجية، وحماية شرف العائلة المرتبط بهذا الموضوع. وأخيراً، يميل الكثير من الآباء إلى تقصير أمد تعليم الفتاة وتزويجها، خوفاً من العنف والاعتداء الجنسي الذي قد تواجهه في الطريق إلى المدرسة أو في المدرسة نفسها.

تعد المكافحة ضد تزويج القاصرات من المهام الكبيرة، لكنها ممكنة، ولا سيما أن الأمر يتطلب إرادات سياسية واستراتيجيات وقائية متعددة الأوجه على الصعيد الدولي والوطني والمحلي. إن الهدف من هذه الدراسة التي تم إعدادها بالتعاون مع منتدى تزويج وحقوق المرأة والفتاة، يعد جزءاً من استراتيجية توسيع الدعوة على المستوى العالمي، لرفع مستوى الوعي المتعلق بتزويج القاصرات وآثاره على المجتمعات. وتهدف أيضاً إلى مساعدة صناع القرار في جميع أنحاء العالم (وبخاصة صناع السياسات الحكومية، والجهات المانحة ووكالات التنمية الدولية) في اتخاذ جميع الخطوات اللازمة والإجراءات لوضع حد لهذا الانتهاك الصارخ للحقوق. وتعرض الدراسة لهذه المشكلة العالمية وأسباب استمرارها. كما أننا نسعى من خلالها، لتفسير آلية انتهاك أن هذا النوع من التزويج للعديد من المعايير الدولية لحقوق الإنسان. ونقدم أخيراً توصيات على صعيد السياسات والبرامج وآليات تسريع أعمال المنظمات والدعوة إلى إلغاء هذه الممارسة.

في الوقت الذي تستمر فيه المفاهيم التقليدية المتعلقة بتزويج القاصرات في تبرير ذلك على أنه قاعدة إيجابية مقرونة بالفوائد الاجتماعية والمالية، كشفت العديد من الدراسات الجديدة التي تتناول الآثار الصحية والاجتماعية المترتبة على هذا الزواج، عن المزيد من النتائج السلبية. وهذا ما جعل من قضية تزويج القاصرات القضيةً التي تشكل مصدر قلق للمجتمع الدولي، وانتهاكاً صارخاً للقوانين الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، وعاملاً من عوامل تقويض مشاريع التنمية البشرية وخاصةً المتعلقة بتنمية الفرد من الناحيتين الاجتماعية والصحية.

تخضع القاصر المتزوجة لضغوطٍ عدة ومستمرة تتعلق بنشاطها الأسري وبالحمل المبكر والإنجاب. وعواقب تزويج القاصرات تطال الأسر والمجتمعات المحلية بنفس المقدار الذي تطال فيه القاصرات أنفسهنّ وتترك آثاراً سلبية بعيدة المدى وخطيرة. كما أن هذه الممارسة هي التي تعزز حالات الفقر وتترك تأثيراً سلبياً على قطاعات الصحة والتعليم في أي بلد. ومع ذلك، لا تزال الكثير من الدول تتجاهل ظاهرة تزويج القاصرات وتتعامل معها بإهمال شديد، دون التفكير حتى في إدراجها في المناقشات الوطنية المتعلقة بالسياسات وبرامج التنمية.

الاتجاهات المختلفة في ممارسة تزويج القاصرات

من الصعب جداً الحصول على بيانات دقيقة حول النسبة الحقيقية لانتشار ظهاهرة تزويج القاصرات، لأن معظم هذه الزيجات غير مسجلة رسمياً، كما أن الكثير من الآباء يلجؤون إلى تزوير سن بناتهم ليتمكنوا من تزويجهن مبكراً. هذه الممارسات يسهل اتباعها في المناطق الريفية، حيث غالباً ما تكون إجرءات تسجيل الزواج وشهادات الميلاد غير خاضعة لضوابط قانونية صارمة. ويوجد أيضاً شح في البيانات حول الفتيات الصغيرات اللاتي تزوجن قبل سن 15 عاماً، وإذا وجدت، فإنها تكون في معظم الأحيان قديمة وعفا عليها الزمن، وهذا يؤدي بالضرورة إلى إعاقة وتضليل المعنيين والمهتمين بتوفير الأسس والمعايير الخاصة بتطوير سياسات وبرامج التنمية. لكن الأبحاث والمبادرات الاستراتيجية مستمرة، وتركز في المقام الأول على قضايا الشباب العازب. وعلى الرغم من أن نسب تزويج القاصرات، وفقاً للإحصاءات، آخذة في الانخفاض في أجزاء كثيرة من العالم، إلاّ أن العدد الإجمالي للفتيات المعرضات لهذا الخطر أو المتأثرات به، مهم جداً ولا يمكن تجاهله. وتشير التقديرات إلى أنه وعلى مدى العقد المقبل، أكثر من 100 مليون فتاة في الدول النامية سيتم تزويجها قبل سن 18 عاماً.

وتؤكد دراسة إحصائية قامت بإعدادها منظمة اليونيسيف عن تزويج القاصرات، أن هذه الممارسة هي أكثر شيوعاً في جنوب آسيا، حيث إن أكثر من 48 ٪ من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهنّ بين 15 و24 سنة يتزوجن قبل أن يبلغن سن الـ18. أما في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، فنسبة هذه الظاهرة تصل إلى 42 ٪ (وإن كان هذا الرقم يرتفع إلى أكثر من 60 ٪ في بعض الأجزاء من شرق أفريقيا وغربها)، و29 ٪ في الشرق الأوسط، ويعتبر تزويج القاصرات من الأمور الشائعة في اليمن وفلسطين، حيث إن ما يقرب من نصف الفتيات يتزوجن بالفعل دون سن الـ18.

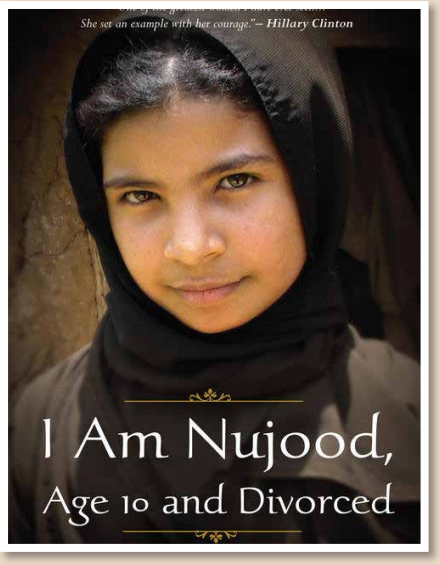

تشير الإحصاءات حول انتشار تزويج القاصرات إلى أن هذه الظاهرة هي أكثر انتشاراً في قطاعات أو مناطق لها خصوصية عرقية أو دينية أو اقتصادية–اجتماعية، حيث تتزوج أغلبية الفتيات قبل بلوغهنّ سن الـ15، مثل بعض الدول الواقعة غرب أفريقيا وجنوب آسيا وأمريكا اللاتينية. أما في الدول الكبيرة مثل الهند ونيجيريا، فقد لوحظ أن أعداد المتزوجات قبل سن البلوغ، تختلف وتتباين من منطقة إلى أخرى. كما أن نسبة تزويج القاصرات تزداد بشكل ملحوظ في الدول أو المناطق التي تعيش صراعات، حروباً أو نزاعات، وكذلك في الدول والمناطق التي تشهد وتتضرر من الكوارث الطبيعية، حيث يسعى الآباء، مجبرين في معظم الأحيان، إلى تزويج بناتهم كضمان وحماية من الاعتداءات الجنسية، أو من أجل الحصول على المال وتحسين الأوضاع الاقتصادية في الأسرة.

تزويج القاصرات، خاصةً اللاتي تقل أعمارهنّ عن الـ15 عاماً، هو أيضاً شائع بكثرة في المجتمعات الريفية، وذلك لأن الأسر الريفية تميل أكثر إلى احترام العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة وإلى الالتزام بها. بالإضافة إلى أن هذه المناطق تعتبر الأقل تأثراً بالعوامل الخارجية، وتفتقر إلى التعددية في الخيارات المعيشية، ولا سيما بالنسبة للشابات والفتيات. وبصورة عامة، يكثر تزويج القاصرات بين الأسر الأكثر فقراً، لكن عندما تصبح هذه الظاهرة عالمية، فإن انتشارها وممارستها يطال أيضاً الأسر الأكثر ثراءً. وغالباً ما يشكل مفهوم تزويج القاصرات مرادفاً لمستويات منخفضة في التعليم أو الأمية أو النقاء أو حتى البساطة. وتعتبر الدراسة الإحصائية التي قامت بها اليونيسيف، دراسة شاملة حول انتشار ظاهرة تزويج القاصرات في العالم، وبحسب ما جاء فيها، تنتشر هذه الظاهرة في 47 دولة،

حيث تتراوح أعمار الفتيات اللاتي يتزوجن قبل سن البلوغ بين 15-19 عاماً. وعلى الرغم من أن تزويج القاصرات هو في المقام الأول مشكلة من مشاكل الدول النامية، إلاّ أن الدراسات والإحصاءات بينت وجود هذه الممارسة إلى يومنا الحاضر في بعض البلدان المتقدمة، ومن بينها الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا، حيث يمكن للوالدين إعطاء الموافقة على تزويج الفتيات ما بين سن 15 و19 عاماً.

العوامل التي تشجع وتعزز ظاهرة تزويج القاصرات

يعتبر تزويج القاصرات، في جميع أنحاء العالم، مؤسسة اجتماعية واقتصادية عميقة الجذور، يبررها الدين أو التقاليد، وتتواصل هذه الظاهرة بالازدهار لأسباب كثيرة ومتنوعة. وقد تكون هذه الممارسة في كثير من الأحيان مرتبطة بنواحي وبديناميات اجتماعية تتعلق بتشويه الأعضاء التناسلية لدى الإناث (ختان الإناث)، المدعَّم هو أيضاً بالأعراف الاجتماعية. أما العوامل التي تشجع على انتشار هذه الظاهرة وتعزز من مكانتها في بعض المجتمعات، فيمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

– **الروابط الأسرية:** في بعض المناطق، ينظر إلى تزويج القاصر على أنه وسيلة لتعزيز الروابط بين الأسر، أو لحل النزاعات والخلافات. ويمكن أن يكون الزواج المبكر أيضاً وسيلة للحفاظ على الروابط بين الجماعات العرقية أو المجتمعات. وغالباً ما يتم تجاهل حقوق الأطفال في مثل هذه الحالات. ومن المؤسف أنه وفي كثير من الأحيان، ينظر للفتاة على أنها مجرد منتج متاح للأسرة المتاجرة به. في باكستان، يتم تقديم الفتاة كهدية في حالات جرائم القتل وذلك للتعويض عن الجريمة، أو لاسترضاء العائلات أو العشائر.

– **الفقر واستراتيجيات النجاة اقتصادياً:** عندما يكون الوضع مأساوياً، يقدّر الأهل بأن تزويج الفتاة باكراً يخفف من المصروف العائلي، ظناً منهم أن ذلك يحد من مصاريف الطعام والملابس. وعندما يقدم أحدهم مهراً جيداً لقاء زواجه بفتاة في مقتبل العمر، فإن هذا يعد مصدر دخل مرحب به بالنسبة للأهل الذين يعيشون في حالة من الفقر الشديد.

– **مزيد من الإحساس بالأمان وحماية شرف العائلة:** يعتقد الكثير من الأهل أن زواج الفتاة بعمر صغير يحميها من الاعتداءات الجنسية والحمل والإنجاب خارج إطار المؤسسة الزوجية. في حين أن الزواج المبكر، حسب ما بينت الكثير من الدراسات، لا يقدم أي ضمانة لعدم تعرض الفتاة للعنف المنزلي أو حتى الاعتداء الجنسي داخل المؤسسة الزوجية.

– **العادات والتقاليد:** في غالبية الأحيان، يرتبط الزواج المبكر بعادات وتقاليد اجتماعية تعود إلى زمن بعيد. وهو شائع بكثرة في المجتمعات الدينية، علماً أنه لا يوجد أي دليل على أن الأديان تنص رسمياً على زواج الفتاة في سن مبكرة.

– **عدم المساواة بين الجنسين:** في المجتمعات التي يتم فيها الزواج المبكر، لا تحظى الفتاة بنفس القدر من القيمة الاجتماعية، كتلك التي يحظى بها الفتيان. ويُنظر إلى الفتاة في هذه المجتمعات على أنها عبءٌ يجب التخلص منه في أسرع وقت.

التوصيات

وضع حد لتزويج القاصرات يساعد في تسريع جهود المجتمع الدولي في بناء مستقبل مضمون، صحي ومزدهر للفتاة في جميع أنحاء العالم. ولهذا لا بد لنا من اتخاذ جميع الإجراءات والتدابير اللازمة للحد منه، حتى الانتهاء من هذه الظاهرة:

– يشكل التعليم أحد أهم عوامل الحماية من تزويج القاصرات. وكلما طالت فترة التعليم لدى الفتاة، كلما قلت الفرصة للزواج أو الإنجاب المبكر.

– تمكين الفتاة ومنحها إمكانية اكتساب المهارات والقدرة على التعلم، وذلك من خلال تزويدها بشبكة من الدعم وبتشكيل فضاءات آمنة، حيث يصبح بمقدورها المساهمة في صنع القرار المتعلق بحياتها وبخياراتها في الزواج.

– دعم وحماية الفتاة المتزوجة مبكراً، من خلال منحها خيارات العودة إلى المدرسة والحصول على المعلومات والخدمات الصحية، ولا سيما المتعلقة بالحمل والإنجاب. وكذلك من خلال منحها فرصاً بديلة وشبكات الدعم النفسي والمادي.

– تبني وتطبيق التشريعات القضائية التي تحدد السن الأدنى للزواج الشرعي (18 عاماً). وفي هذا الصدد، يجب على حكومات الدول التي تعاني من ظاهرة تزويج القاصرات، تعزيز أنظمة تسجيل الزواج وشهادات الولادات.

– تسليط الضوء على عواقب وآثار تزويج القاصرات، وإعارة الاهتمام إلى أثره في سياسات وبرامج التنمية. يجب على الحكومات والدول المانحة إدراج مشكلة تزويج القاصرات في برامج التوعية الصحية والتعليم وبرامج الحد من الفقر وحماية الأطفال.

– يجب أن نرفع صوتنا من أجل تغيير آليات التفكير في المجتمعات، فالقانون وحده غير كافٍ لوضع حد لتزويج القاصرات. وكي نتمكن من تغيير الذهنيات والمعايير الاجتماعية المجحفة بحق الفتاة، علينا إشراك الجميع، وإعلان التعبئة العامة لدى جميع أفراد المجتمع، خاصةً الذكور منهم والزعماء التقليديين.

المصدر: http://www.ippf.org/

الدكتور محمد حبش وآراء فقهية حول تزويج القاصرات

• حاورته سيدة سوريا

1. زواج القاصرات في ظل العالم المعاصر الموجود اليوم في حياتنا، وكصيغة استغلال يعني (استخدام أقصى حدود الحلال في أن يتزوج رجل في الثمانين فتاة في ال13 أو 14 أو 15)، والعنصر الضاغط لإتمام هذا الزواج هو المال.

لا يوجد في الإسلام أمر ولا نهي فيما يتصل بزواج القاصرات، والصحيح أنه يجب اعتبارها واحدة من قضايا الاجتهاد الذي ينهض به فقهاء الأمة، استصحاباً للأصل، وهو المشروعية وليس الوجوب، وقد أجمع الفقهاء أن لولي الأمر (الدولة) التصرف في المباح استصحاباً، فيجوز الأمر به ويجوز النهي عنه، ويجوز تركه على الإباحة الأصلية.

والمتفق عليه بين الفقهاء هو أنه على الإباحة الأصلية ما لم يأمر الإمام بشيء، فيكون إذن كما اختار الإمام وجوباً أو منعاً.

وقد اختار الفقهاء الحنفية في سوريا تطبيق ذلك، حيث أخذوا بما أقره القانون السوري من منع الزواج بأقل من سبعة عشرة عاماً للمرأة وثمانية عشر للرجل، وهذا الاختيار محكوم برؤية الإمام، وهو اجتهاد محض صادر من أهله وفي محله، وينقض بمثله.

وأما استدلالهم بزواج النبي الكريم من عائشة وهي في التاسعة، فليس حجة لهم، لأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم تثبت به الإباحة ولا يثبت به الوجوب، فيدور في المآل على القاعدة المذكورة أعلاه، وهي حق ولي الأمر في التصرف بالمباح استصحاباً، ويكون عندئذ وفق ما اختاره الإمام وأقره المسلمون.

على أن في زواج الرسول الكريم بعائشة في التاسعة كلام كثير لأهل العلم، والأرشد أنه لا يثبت، وأن زواجه بها كان في الثامنة عشرة، ونحيل هنا على الدراسة القيمة التي كتبتها الدكتورة سهيلة حمّاد، وكذلك إسلام البحيري.

2. زواج القاصرات كزوجة ثانية أو ثالثة مع اشتراط عدم الإنجاب؟

لا شك أن هذا الضرب من الزواج محرم شرعاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: كل شرط خالف كتاب الله فهو باطل، ولو كان ألف شرط، وهذا اللون من الاشتراط يفسد أصل العقد، لأنه تفويت للمنفعة الرئيسية من النكاح وهي الإنجاب، والعقد فاسد بهذا الشرط على القاصرات وعلى البالغات، مع اختلاف الفقهاء في تكييف هذا العقد.

فمنهم من اعتبر صحة العقل وفساد الشرط وهو مذهب الإمام أحمد، ومنهم من اعتبر فساد العقد والشرط جميعاً.

وأما أن يكون اتفاق الزوجين على عدم الإنجاب للأبد، فمحل خلاف بين العلماء، فمن قائل بالجواز، إلى من قائل بالتحريم والمنع، وإذا جُعل هذا شرطاً في عقد النكاح، فمن العلماء من يرى بطلان العقد، ومنهم من يرى صحة العقد وبطلان الشرط، وهذا هو الصواب، فالمنع من الإنجاب بالكلية مخالف للشرع الذي أوصى بالتكاثر والتناسل، وجعل ذلك من مقاصد الزواج، وفي الوقت نفسه ليس ذلك بمبطل لعقد النكاح، بل هو شرط باطل إذا جُعل في عقد النكاح، فيصح العقد ويبطل الشرط، ولا يجوز الالتزام به من قبَل أي طرف من الطرفين.

وظاهر مذهب الإمام أحمد أنهما إذا اشترطا، أو أحدهما، الخيار في النكاح أو في المهر أو عدم الوطء، أو إن جاء بالمهر في وقت كذا، وإلا فلا نكاح بينهما، أو شرط عدم المهر أو النفقة أو قسمة لها أقل من ضرتها، أو أكثر أو إن أصدقها رجع عليها، أو يشترط أن يعزل عنها...: بطَل الشرط وصح العقد.

الإقناع في مذهب الإمام أحمد/ ج3/ ص93

3. زواج القاصرات في ظل وقوع أضرار جسيمة على جسد الفتاة القاصر بسبب عدم احتمال جسدها، نموها، أو احتمال إنجاب طفل ضعيف الجسم، وأم في هذا السن غير المسؤول؟

إذا تحقق طبياً أن الزواج بالقاصر سيؤدي إلى أضرار جسيمة على جسدها، تعيّن تحريم هذا الزواج تحريماً قاطعاً للأدلة الشرعية الكثيرة في تحريم الضرر والضرار وتحميل وازرة وزر أخرى.

وللدولة الحق في منع الزواج المظنون فيه الضرر والأذى، بسنّ تشريع ينص على ذلك، والله تعالى أعلم.

الآثار النفسية لتزويج القاصرات وطرق علاجها

• أميرة الجركس

تزويج القاصرات ظاهرة موجودة في المجتمع السوري بنسب متفاوتة منذ زمن، تتراوح بين كثافة الحضور والانعدام، هذه النسب ازدادت وبكثرة نتيجة الحرب وموجات النزوح وغياب الأمن والأمان، ونتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية لمجتمعات بأكملها.

سماح، فتاة من أسرة ريفية نزحت مرات عدة مع عائلتها، أسعفها شقيقها لمشفى ميداني وأخبر الأطباء بأنه حادث، فيما أكد الطبيب أنها محاولة انتحار.

أنكرت سماح البالغة من العمر 14عاماً محاولتها الانتحار، وأخبرت من في المركز أنها شربت دواء بالخطأ، وبعد عدة محاولات لإقناع ذويها، استطعنا الحديث معها، لتقول لنا إن أهلها زوجوها منذ عام تقريباً، وتضيف سماح: «كنت في الثالثة عشر من العمر عندما زوجوني لرجل يعيش هنا في البلدة، لديه سطوة في المنطقة، ألبسوني الطرحة والفستان، كنت أظن أنها سهرة وتنتهي، ولم أتصور ما سيحصل بعد ذلك، منذ اليوم الأول شعرت أنه وحش يريد التهامي، خفت كثيراً، حاولت الهروب، تمسكت بالباب الذي أوصده، بكيت.. توسلت وصرخت، وانتهت ليلتي الأولى في المستشفى». عدت إليه بعد شفائي وبعد تهديدات والدي وحديث والدتي: «كل البنات سيتزوجن، عليك طاعته بكل مايأمرك به، فهو سترك وغطاؤك، ويجب أن تبذلي كل ما بوسعك لإسعاده».

وتستطرد سماح قائلة «أريد أن أركض.. أن ألعب، أراقب الفتيات وهن ذاهبات إلى المدرسة أتمنى أن أكون معهن، أكره أمي وأبي وعمتي، فقد حرموني من كل ما أحب، أساعد والدة زوجي في أعمال البيت وأذهب للحقل، أعمل هناك ثم أعود وأحضر الطعام، هم عائلة كبيرة ولديهم أعمال لاتنتهي، وعندما أخبرهم بأني تعبت يسخرون مني ويقولون: أنت صغيرة كيف تتعبين؟

أتمنى أن لا يأتي الليل، كي لا يأتي الوحش معه، عند عودته كل مساء، توغل والدته صدره بالشكاوى ضدي، وأكثرها افتراءات وعدم فهم لتصرفاتي، فيدخل الغرفة ويبدأ بضربي وسحلي، يزرق جسدي، وفي إحدى المرات تسبب بكسر يدي».

هذه الطفلة الصغيرة هي واحدة من كثيرات يتم تزويجهن إما لأسباب اقتصادية، أو انصياعاً للتقاليد والأعراف، كالخوف من عنوسة الفتيات، وتحديد سن الزواج في بعض هذه المجتمعات بحيث تكون الفتيات صغيرات جداً، فضلاً عن أسباب تعود إلى «الخوف على الشرف أو جنوح الفتاة» إن هي كبرت في منزل والديها، فينزل الوالد عبْء هذا الشرف عن كاهله بتزويج صغيرته. كما يمكن أن يعود التزويج لأسباب خدمية، فهي يد عاملة مجانية «لاتكلفهم سوى لقمتها».

هل القاصر مؤهلة لتلبية متطلبات الزواج

لا تستطيع الطفلة الصغيرة أن تفهم الواجبات والمتطلبات الزوجية، وهي غير مؤهلة نفسياً ولا عاطفياً، لذا تتحول الممارسة الجنسية عندها إلى تعذيب جسدي يفوق القدرة على التحمل، ما يؤدي إلى عدم الإشباع الفطري، الذي يؤدي بدوره إلى فقدان الإحساس بالذات، لتبحث بشكل مستمر عن طريق، للتخلص مما تعانيه من عذاب نفسي شديد، فتهرب أحياناً، وقد يصل بها الأمر إلى التفكير بالانتحار والتخلص من هذه الحياة التي فقدت معناها حسب عقلها وتفكيرها.

الخوف.. من آثار الحرمان العاطفي

نلاحظ هنا عند هذه «السيدة» الصغيرة ومثيلاتها، أن الخوف يظل مصاحباً لها، وذلك لأنها تعيش آثار الحرمان العاطفي من حنان الوالدين، والحرمان من مرحلة الطفولة التي تنتج إنسانة سوية، لذا فإن حرمانها من هذه المرحلة يؤدي عند تعرضها لضغوط إلى ارتداد لهذه المرحلة في صورة أمراض نفسية، مثل الهستريا والفصام، الاكتئاب، القلق، اضطرابات الشخصية، اضطرابات التكيف، واضطرابات في العلاقة الجنسية بين الزوجين.

القاصر لاتستطيع اتخاذ القرارات وحل المشكلات لعدم نضجها العقلي والانفعالي، ولهذا نجد كثيراً من الأمهات القاصرات يعانين من المشاكل. وقد أثبتت الدراسات أن تزويج القاصرات قد يؤدي إلى طلاق مبكر، لعدم نضج الفتاة وضعف قدرتها على التصرف، ويترتب على ذلك تبعات سيئة

على الأطفال، ولا تقتصر الآثار الاجتماعية لتزويج القاصرات على الحياة الأسرية فقط، بل تنعكس سلباً على المجتمع أيضاً.

تقول أم أسعد: «زوجت ابنتي فاطمة منذ أكثر من عام، وهي الآن أم، وعمرها لايتجاوز الرابعة عشرة، تأتي إلينا كل شهر غاضبة بسبب خلافاتها مع زوجها أو احد أفراد عائلته، وهي الآن هنا، وقد وضعت طفلاً عندي ولا تريد العودة إلى بيت زوجها، تعرضنا لخلافات كثيرة فهو ابن عمها وابن خالتها في آن معاً».

الآثار النفسية على أبناء الأم القاصر

لا يمكن للأم القاصر أن تقوم بعملها كأم ناضجة، ولأنها حرمت من عاطفة الوالدين، فقد تتصف هذه الأم بالقسوة أو الإهمال واللامبالاة بأطفالها كشكل من أشكال الترويح عن الاضطراب الذي تعيشه.

كما ويمكن أن ينتج عن تزويج القاصر تأخر في النمو الذهني عند أطفالها نتيجة ضعف أو انعدام الرعاية التربوية الصحيحة، فلا يمكن للأم القاصر أن تقوم بواجبها التربوي تجاه أطفالها، كما يمكن أن تحدث بعض الاضطرابات النفسية لدى أطفالها، وقد تؤدي إلى أمراض نفسية كالفصام والاكتئاب نتيجة وجود الطفل في بيئة اجتماعية غير متجانسة، وقد تكون الوالدة أحد أسبابها.

وتتعرض الزوجة القاصر لإجهاضات متكررة، وقد تحدث ولادات قبل أوانها، وقد تنجب أطفالاً معوقين أو مشوهين، وذلك بسبب عدم اكتمال نموها الجسدي والهرموني.

دعم القاصر المتزوجة

بين ضغط الواقع الأسري والمجتمعي، الحرب الدائرة وغياب القانون، تتجرع الصغيرات آلامهن بصمت في ظل غياب أي دعم معنوي أو نفسي. تقول هنادي: «استشهد والدي وأخي الكبير في بداية الثورة، وكنت حينها في الصف السابع، بعد أسبوعين جاء جدي واتفق مع والدتي على تزويجي لابن خالتي. جهزتني والدتي في اليوم التالي، وأخذني جدي لبيت خالتي، كنت تائهة لا أدري ما يجري، حزينة على والدي، فأنا يتيمة ولا أحد يحميني كما قالت أمي، عانيت كثيراً من خالتي وبناتها، خاصة أن زوجي كان مجنداً يطول غيابه بعد أن اتسعت رقعة النزاع. حملت بعد ثلاثة أشهر، ولم يشفع لي حملي أمام خالتي بحيث تخفف من ظلمها وإهانتها لي، وبعد ولادتي بعدة أيام (وزوجي لم ير ابنتنا)، جاءنا خبر استشهاده، بكى الجميع وبكيت على نفسي حينها، كانت أمي تقول: يتيمة تربي يتيمة، بل طفلة تربي طفلة. ازداد جور خالتي علي وأصبحت تقول إنها لم تفرح بابنها بسببي، ووصل بها الأمر أن ضربتني هي وبناتها، وأرسلت بطلب والدتي لتأخذني. أخذت رضيعتي مني ولم تسمح لي حتى بزيارتها ومشاهدتها رغم الوساطات التي قام بها جدي وأفراد من العشيرة. وصل القصف إلى بيوتنا، وعندما أصيب منزلنا بصاروخ نزحنا، واستمر نزوحنا إلى أن وصلنا تركيا، فزوجتني أمي من أحد شبان قريتنا وهو نازح أيضاً، لكنه يكمل دراسته الجامعية. فقدت الفرح وفقدت أي شعور جميل، وأنا دمية يحركونها كما يريدون.

في إحدى الجمعيات الخيرية تعرفت على مرشدة نفسية تبرعت بمساعدتي، وخضعت لبرنامج للدعم النفسي، وبعد عدة جلسات شخصية، أصبحت تجمعنا مع عدة نساء لديهن حالات مشابهة لحالتي. استفدت كثيراً، وأنا الآن أقدر نفسي، لدي آمال وطموحات، استطعت إقناع زوجي برغبتي في إتمام تعليمي وهو يساعدني، أنظم وقتي لأدرس، وقد اتفقنا أيضاً أن نؤجل إنجاب الأطفال إلى أن أحصل على الشهادة الثانوية. أصبحت أعرف حقوقي، أحل مشاكلي وأشعر بأنني مميزة، لدي الكثير من الأهداف والآمال التي سأحققها تباعاً.

تحتاج السيدات الصغيرات لإيجاد هوية جديدة، ولإيجاد القوة في أنفسهن، وأن ندعمهن ونجد لهن فرصاً أخرى للبدء من جديد، وأن ندعم لديهن صورة الذات والإدراك الإيجابي، ونتيح لهن ممارسة الأنشطة التي يحققن من خلالها النجاح، يكون ذلك باكتشاف ميول القاصر وهواياتها، ووضع أهداف مناسبة وتوقعات مقبولة وممكنة، التدريب على طرق إدارة الحوار، وحل الأزمات، كل ذلك يكون بإشراف متخصصين نفسيين، لتخضع القاصرات لبرامج دعم تعيد دمجهن في المجتمع بفعالية وإيجابية.

ولاننسى أيضاً الدور المهم للمثقفين في تغيير المفاهيم المتعلقة بالزواج وحل المعضلات الاقتصادية والثقافية، وكسر سلطة العادات والأعراف وتضافر جميع الجهود للحد من ظاهرة تزويج القاصرات.

أطفال في مهب الريح
تزويج القاصرات قنبلة نفسية موقوتة

• نجاح سفر

«أنا نجود، عمري 10 سنوات ومطلقة»... ليس عنواناً لفيلم إثارة، بل مذكرات أصغر مطلقة في العالم، اليمنية نجود علي، التي تجرأت وطلبت الطلاق بعد ارتكاب جرم تزويجها وهي في التاسعة من عمرها من رجل يكبرها بثلاثة أمثال عمرها، وتعرضت للعنف الزوجي، ما دفعها لطلب الطلاق وهي في العاشرة، لتحصل عليه وتصبح بذلك «أصغر مطلقة في العالم».

زواج الأطفال أو «القاصرات» لعنة تلحق بالفقراء في كل مكان، تدفعهم للتضحية ببناتهم الصغيرات على مذبح الخلاص المادي. وفي خضم الاحتفالات بالأضحية، لا يفكر أحد من أهلها أو غيرهم بما ينتظرها بعد هذا الزواج من آثار نفسية وجسدية، ولا أن هذا التأثير سيمتد لأطفالها، إن كُتبت لهم الحياة، وقد يطال هشيم النيران كل من يمت لها بصلة.

اكتئاب وقلق

هل تساءل أحدهم حول الصدمة النفسية التي ستلحق بتلك الطفلة التي يشدها والدها من يدها، يخرجها من ساحة لعبها، ليزفها إلى رجل قد يتجاوز بعمره أضعاف عمرها ويحرمها من حنان والديها، لتنتقل إلى منزل ستكون هي المسؤولة فيه، ابتداء من الزوج، وليس انتهاء بالمسؤوليات المنزلية التي تجهلها نظراً لصغر سنها.

إذن ها هي طفلتنا تُحرم عاطفياً من حضن والديها والعيش بشكل طبيعي خلال مرحلتي طفولتها ومراهقتها، اللتان ستؤهلانها في المستقبل لتصبح امرأة سوية، مما سيؤدي بها بعد فترة قصيرة من زواجها إلى هجمات ارتدادية لمرحلة الطفولة. وسيظهر ذلك في المستقبل، وربما القريب جداً، على شكل أمراض نفسية، مثل الهستيريا، انفصام الشخصية، الاكتئاب، القلق واضطرابات الشخصية.

فعندما تنتقل الطفلة إلى سرير الزوجية، ستشعر بالصدمة من طبيعة العلاقة الجنسية، ما يجعلها تعاني من صدمة «ليلة الدخلة»، التي تصيبها بمجموعة من الأعراض النفسية، تتراوح بين الاكتئاب والقلق في كل مرة تضطر فيها للمرور بنفس التجربة، ما ينتج عنه اضطراب في تلك العلاقة لعدم إدراكها لطبيعتها، وصعوبة في ممارستها ومن ثم فشلها.

فهي لا تزال تخاف، مثلها مثل كل الأطفال، من الظلام والغرباء والبعد عن والديها، ولا يعوضها زوجها عنهما، بل ترى فيه وحشاً يحاول افتراسها في الفراش، فتشعر بالصدمة وتكره المعاشرة الزوجية لأنها تجد فيها عذاباً، ما يدفعها للتهرب منها والتمنع، ويستدعي بالتالي العنف الجسدي من قبل الزوج، فيزداد خوفها وقلقها مما يحدث، ويمنعها من الوصول إلى الإشباع الفطري.

وبناء على ما يترتب من أضرار نفسية خطيرة جراء العملية الجنسية الصادمة والمؤلمة، قد تفكر بالانتحار أو ارتكاب جريمة بحق زوجها، الذي سيلجأ في النهاية إلى العلاقات الخارجية لإشباع رغبته الجنسية التي تمانع زوجته منحه إياها.

وهناك جانب خطير، عندما تتزوج القاصر من رجل مسن يعجز عن إشباع رغباتها المكنونة، فتقيم علاقات خارج إطار العلاقة الزوجية، أو تتحول إلى شخصية عدوانية عصبية، خصوصاً عندما ترى مثيلاتها في العمر مع أزواجهن المتكافئين في السن والحياة الاجتماعية. بالإضافة إلى الحقد الدفين الذي ستحمله لوالديها لتزويجها من هذا الرجل.

كيف ستواجه طفلتنا واقعها الجديد؟

وكونها طفلة لن تدرك مفهوم الزواج وما يعنيه من مسؤولية الأسرة والسكن والمودة بين الزوجين، وبين الزوجة وأهل الزوج، فتفشل بالتكيف مع زوجها وأهله نتيجة المشاكل الزوجية، ويزداد انتقاد الزوجة الطفلة من قبل الزوج وأهله لعدم درايتها بكيفية

التعامل معهم، وتنتقل تلك الانتقادات والشكاوى إلى أهلها الذين يقومون بتوبيخها وإجبارها على الصبر والمعاناة بصمت، فيزداد عنادها، وكنوع من الدفاع عن نفسها تتعمد اللامبالاة تجاه منظومة العادات والتقاليد التي تحكم ما حولها، فيزداد التوتر بين العائلتين مما يؤدي في النهاية إلى الطلاق في كثير من الحالات، حيث يتخلى الزوج عن زوجته القاصر، كما يتخلى أهلها عنها، فكيف لهم بتحمل مسؤوليتها هي، وربما طفلها.

أسهل الحلول بالنسبة لطفلتنا هو الهروب من بيت الزوجية، كما فعلت اليمنية نجود واتجهت إلى المحكمة لتطلب الطلاق، أو الهروب إلى الشارع لتمارس الانحراف والإدمان نتيجة كثرة الضغوط عليها، أو محاولة الانتحار للتخلص من فقدانها لشعورها بذاتها نتيجة الضغوط الهائلة التي وقعت عليها وهي لا زالت في طور النمو والتطور النفسي والجسدي.

طفل الطفلة

بعد الزواج بقليل قد تحمل طفلتنا قبل نضجها الذهني حول ما ينتظرها بخصوص الاهتمام بطفلها القادم والعلاقة مع زوجها وأقاربه بعد ولادتها، مما سيترك آثاراً لا تحمد عقباها على ذلك الطفل الذي سيشعر بالحرمان، كون أمه قاصر عاجزة عن القيام بعملها كأم ناضجة، ما سيؤدي إلى أمراض نفسية في الكبر، كالفصام والاكتئاب نتيجة وجود الطفل في بيئة اجتماعية غير متجانسة، وتأثر في النمو الذهني عنده بسبب جهل أمه الطفلة بواجباتها التربوية تجاهه، ما قد يؤدي أحياناً إلى وفاة الطفل الوليد نتيجة عدم معرفتها في اتخاذ قرار لما يصيبه من أمراض، وهذا يدخلها في حالة من جلد الذات وتأنيب الضمير لا نهاية لها. ثم يتكرر الحمل والولادة نتيجة الجهل والأمية في المجتمع الذي تعيش فيه، ليتم تكريسهما في الأجيال التالية.

وبعض الضحايا الأطفال يصابون بالانطوائية والتقوقع أو الدخول في حالات اكتئاب مزمن، بسبب تحمل مسؤوليات الحمل والولادة في سن الطفولة، لتواجه مسؤوليات تفوق خبراتها في التعامل مع أمور وواجبات ومسؤوليات كبيرة. لذلك فإن زواج الأطفال هو أحد الأسباب الرئيسة التي تعمل على ظهور المشاكل الصحية والنفسية، مما يؤدي إلى زيادة الأمراض في الأسرة والمجتمع وبالتالي تشكل عبئاً اقتصادياً على النظام الصحي.

طفلتنا مطلقة!

الآن طفلتنا في مهب الريح، فزوجها تخلى عنها وطلقها لتمردها وعدم طاعته وطاعة أهله، وها هي تعود إلى بيت أهلها الذين نبذوها وهي طفلة، فكيف تعود إليهم ومعها طفلها؟ وهنا ستبدأ معاناتها الحقيقية: «لا تخرجي وحدك أنت مطلقة... لا ترتدي هذه الملابس أنت مطلقة... لا تتحدثي مع فلان أنت مطلقة... أنت السبب في كل ما حصل لك وعليك تحمل العواقب...»، وهكذا تضطر الطفلة للتقوقع على ذاتها والدخول في حالة كآبة قد تدفعها لتفكير سوداوي. وفي أحسن الأحوال قد تصاب بحالة هستيرية تدخلها في صراع مع من حولها، لا ينتهي إلا بتزويجها مرة أخرى بظروف ربما تكون أسوأ من الزيجة الأولى، كي يتخلصوا من همها وهم طفلها، ولتدخل الدوامة السابقة من ولادات وخلافات وربما طلاق آخر.

الحل في التمكين

إذن يمكننا القول إن تزويج الأطفال (القاصرات) ينتج عنه مخاطر نفسية تهدد الصحة النفسية للقاصرات المتزوجات، لاسيما من ينجبن بعد فترة قصيرة من الزواج، فعدم اكتمال نموهن يتسبب بمعاناة نفسية كبيرة لحرمانهن من حنان الوالدين وعيش مرحلة طفولة ثم مراهقة طبيعية.

لذا يوصي المتخصصون الاجتماعيون بوضع برامج توعوية وتثقيفية، وتطبيقها في ورش عمل تركز على خطورة ظاهرة تزويج القاصرات ودوافعها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وما ينتج عنها من نتائج نفسية واجتماعية خطيرة.

ويقع على عاتق الحقوقيين جانب كبير من مهمة الوقوف في وجه هذه الظاهرة الخطيرة، وذلك من خلال تجريم تزويج القاصرات، ووضع استراتيجية لتمكين المرأة اقتصادياً وإشراكها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال توفير مشاريع تدعم دخل الأسر الفقيرة، وتوفير الحماية والوقاية للأطفال، وصيانة حقوقهم في التعليم والتأمين الصحي.

لذلك تقع المسؤولية على جميع مكونات المجتمع في وضع القوانين والضوابط التي تقف في وجه حدوث هذا النوع من الزواج الجريمة، الذي يعد امتهاناً لكرامة أطفالنا، حيث تبدو المسألة وكأنها عملية بيع سلعة وشرائها، لتحقيق مصالح مادية واجتماعية من ورائها.

المرأة في مناطق «داعش»
زفاف بالسواد وتضييق في الأسواق

• جلال زين الدين

لا يختلف وضع المرأة في ظل سيطرة تنظيم الدولة عن وضع الرجل كثيراً، لكن فهم التنظيم الخاص للدين، وتسلل العادات الشرقية، لعبا دوراً بارزاً تجاه المرأة، فالتنظيم يدعي حرية المرأة وضرورة مشاركتها في بناء الدولة الإسلامية، حتى إنه أطلق أسماء نساء (صحابيات) على مدارس ومشافٍ في مناطق سيطرته، وأشركها في الأعمال الرديفة للعمل العسكري، ككتيبة الخنساء في الرقة، لكن كل ذلك يأتي ضمن قوانين التنظيم، وفهمه الخاص للدين الإسلامي.

ومن أبرز ما يتعلق بالمرأة قضية الزواج، وقد حرص التنظيم وشجع عناصره على الزواج، وقدم لهم كل التسهيلات، فالتنظيم يقدم للشاب المقبل على الزواج مبلغاً يقدر بأربعمائة ألف ليرة سورية مهراً للعروس، عدا تأمين السكن وأثاثه، فضلاً عن البدلات التي يقدمها للأولاد، وهذه أشياء باتت من الأحلام لكثير من السوريين الذين أصابهم الفقر والعوز، ودفعت كثيراً من الأهالي لتزويج بناتهم لأعضاء التنظيم وخصوصاً المهاجرين. واللافت أن فتيات صغيرات يتزوجن من رجال أكبر منهن بكثير في عُرف المجتمع السوري، ويعد إغراء المال في ظل الظروف الاقتصادية السيئة أحد الأسباب وراء تزويج الفتيات لعناصر من التنظيم. تحدثنا إحدى السيدات عن زواج «حنان» وهي فتاة نازحة من مدينة حلب إلى إحدى مدن التنظيم، حنان ابنة عائلة فقيرة تعيش في إحدى مدارس النازحين، فأبواها لا يستطيعان استئجار منزل، ولشدة فقرها لطالما نامت العائلة دون عشاء، في هذه الظروف بين الحياة والموت بين النزوح والجوع، يظهر لها فجأة في حياتها أحد عناصر التنظيم وهو تونسي الجنسية، عارضاً عليها الزواج وعندما كلمتها أمها بالموضوع رفضت بداية وسكتت أمها والتزمت الصمت من دون السؤال عن السبب، إلا أن ذلك العنصر عاود طرح الموضوع عبر امرأة وسيطة وهي جارة حنان الأربعينية «أم محمود»، عارضاً عليها المهر الذي تطلبه، هنا تدخل الأب مذكّراً ابنته بحياتهم التي يعيشونها وحال إخوتها الصغار. وافقت حنان لإنقاذ نفسها وعائلتها من شبح المجهول الذي يترصد حياتهم عند كل منعطف.

تقول أم محمود: «لن أنسى ما حييت منظر حنان ابنة الخمسة عشر ربيعاً، والدموع تنهمر من عينيها عندما كانت تشكو لي همها ليلة إعلان الزواج، كانت تقول: «لماذا.. لماذا يا إلهي اخترت لي الزواج من رجل يكبرني بعشرين عاماً ولا أعرف اسمه ولا أهله.. كل ما أعرفه عنه أنه لا يكف عن الذهاب للمعارك، فإما أن يقتل الأبرياء أو يقتل هو على أيدي أحدهم». وتتابع أم محمود: عندما سألتها متعجبة: ماذا تعنين بأنك لا تعرفين اسمه...؟!، قامت بإعطائي وثيقة الزواج ليتضح أن الزوج كتب لقبه، وهو أبو «عبد الرحمن التونسي»، ولم يكتب اسمه الحقيقي في وثيقة الزواج وبذلك حرمت الفتاة حتى من أن تنادي زوجها باسمه لأنها قالت أنه حتى لو قام بإعطائها اسمه بعد الزواج فهي لن تصدق بأنه أعطاها اسمه الحقيقي، وتم الزواج وألبس الزوج عروسه الخواتم والأساور، إلا أن حنان كانت تنظر لتلك الأساور حول معصميها وكأنها قيود للدخول في عالم العبودية. يرى «المحامي محمود من ريف حلب الشرقي»: «إن الهدف من ذلك اندماج المهاجرين بالمجتمع: «أعتقد أن هدف التنظيم ربط هؤلاء الأجانب بالمجتمع السوري، كما أن صغيرات السن لا يمتلكن وعياً كافياً، وهنّ أكثر تقبلاً للجديد (أياً كان) ممن هن أكبر سناً وأكثر نضجاً».

ولا يقتصر التعويض للزوجة الأولى بل يصرف للثانية، والثالثة، والرابعة، فالتنظيم يشجع على الزواج والنسل، يقول «الشرعي» في تنظيم الدولة «أبو همام الأنصاري»: «المسلمون ابتعدوا عن دينهم، وحرّم كثير منهم أشياء أباحها الله لهم كتعدد الزوجات، ونحن نشجع الشباب على الزواج لأنه سنة، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من رغب عن سنتي فليس مني)، كما أن عدد العوانس والأرامل زاد، ومن واجبنا الحفاظ على أخواتنا المسلمات».

هناك من السوريين من يزوج ابنته طمعاً بالحظوة والحماية، لا سيما بعدما أحكم التنظيم سيطرته، وأعلن قيام دولته. وتعتبر هذه النهاية جيدة نوعاً ما إذا ما قورنت بنهايات أخرى، كقصة فتاة من بلدة خان شيخون تبلغ من العمر 14، عاماً كانت تقيم في مساكن سد تشرين مع عائلتها، حيث انضم أبوها للتنظيم وكانت الفتاة حديث الشارع ومجالس النساء في جمالها الخارق للعادة، إلا أن أبوها أجبرها على الزواج من أمير السد، وهو مصري الجنسية، طامعاً في المال والتقرب إليه. وبعد زواجها بأشهر قليلة انتهت المأساة بمقتل ذاك الأمير على أيدي عناصر الجيش الحر، ليبقى مصير تلك الفتاة في المجهول، حيث يعتبر زواجها من شاب سوري

شبه مستحيل بعد ترملها لأحد رجال التنظيم المهاجرين... والسيناريو الأقرب لحالة مثل تلك الفتاة هو إعادة تزويجها من أحد رجال التنظيم.

يدافع أبو همام الأنصاري عن هذه المسألة بالقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جاءكم من ترضون أمانته وخلقه فأنكحوه كائناً من كان، فإن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. فالرسول لم يحدد السن أو الجنسية أو... بل قال أمانته وخلقه، فالمسلمون إخوة، ولماذا يُعاب هذا على دولتنا وهي عادات اجتماعية قبل وجودنا».

كما عمل التنظيم على الفصل التام بين الذكور والإناث قدر استطاعته، فمنع الاختلاط في المدارس حتى وصل به الأمر لمنع المعلمات من تدريس صفوف المرحلة الابتدائية قبل قرار التنظيم إيقاف التعليم نهائياً في 11/18/ 2014 م، لتضاف عملية تجهيل المجتمع في سجلات أعباء المرأة الإضافية، وشدد عليهن في الأسواق، يقول خريج الشريعة الشيخ محمود من مدينة الباب: «هم لا يميزون بين الاختلاط وبين الخلوة، فالاختلاط شرعاً مباح ضمن قواعد وضوابط شرعية، فالإسلام لا يمنع المرأة من تعليم الأطفال الصغار بل حتى الكبار، والمشكلة أن هذه القوانين تصدر باسم الدين».

وقد تعسف التنظيم في تطبيق الحجاب الشرعي، فسمح بداية بالنقاب ليمنعه، ويفرض الحجاب الكامل ضارباً عرض الحائط باجتهادات فتاوى وعلماء منذ العصر الإسلامي الأول وحتى الآن، آخذاً برأي فقهاء معينين دون سواهم، فسيارات الحسبة تدور في الأسواق متوعدة ومهددة عبر مكبرات الصوت المرأة وولي أمرها بالجلد إن لم تلتزم بالحجاب الكامل، وقلما يخلو يوم من عقوبات بسبب الحجاب، يقول أبو فارس سائق حافلة: «التنظيم أحياناً لا يعاقب المرأة التي تكشف عن وجهها بل يعاقب السائق، وولي أمرها معه، فهل مهمة السائق مراقبة الركاب أم القيادة؟»، وتجد على كل المحلات والصيدليات والبقالات عبارة «أختي المسلمة تحجبي قبل أن تدخلي» أو ما شابهها، فأي بائع ومهما كان، يعاقب بالسجن أو إغلاق المحل حين تضبط عنده امرأة كاشفة عن وجهها، وتحصل كثير من المواقف الغريبة العجيبة يقول أبو محمد: « رأيت صاحب محل ألبسة يطلب من امرأة أن تغطي وجهها وهي تقول له: أريد رؤية اللون والقماش فقط لأشتري، فقال لها مغضباً: «الله يسترك غطي وجهك لا نريد مشاكل»، فأصرت على رؤية الثوب، فأخذ الثوب بعنف وقال لها: «خلص لم أعد أريد البيع، سأغلق المحل»، وحين سألته عن سبب موقفه قال لي: «إجباري يا أخي.. منذ أيام أخذوا جاري وأغلقوا محله»، يقصد رجال الحسبة في التنظيم. ولكن ذلك لا يعني أن النساء لا يترددن إلى الأسواق، بل يفعلن ولكن بنسبة أقل بكثير عن السابق، فأنت تجد نساء عناصر التنظيم، وطبعاً لا يمكن معرفة أنها من عناصر التنظيم إلا من خلال أمرين، فكل النساء يرتدين زياً واحداً ويغطين وجوههن، فأنت تعرفهن من خلال الأولاد، ومن خلال كلام كل منهن عندما تشتري، وهن غالباً يشترين حاجاتهن بصحبة أزواجهن.

وأدى قرار التنظيم القاضي بمنع المرأة من السفر دون محرم شرعي لحرمان عدد كبير من الفتيات إكمال تعليمهن الجامعي، بل حصول كثير منهن على الشهادة المتوسطة أو الثانوية العامة، مما سينعكس مستقبلاً على المجتمع السوري كله. ولا يقتصر الأمر على الصغيرات في السن بل على كل النساء، والتنظيم يطبق فهمه دون أن يراعي الظروف والنوازل والحاجات والضرورات، تقول «لينا، طالبة في كلية التربية بجامعة حلب»: «تردد والدي كثيراً بخصوص إكمالي لتعليمي الجامعي، بسبب ظروفنا المادية وتكاليف الجامعة والطريق، والآن قررت أنا ترك الجامعة بعد أن منع التنظيم سفرنا دون محرم متناسياً ومتجاهلاً واقعنا»، وتتابع مستنكرة سلوك التنظيم: «سمعت أن المشرف على الموت من الجوع وليس عنده إلا لحم الخنزير أو الميتة يأثم إذا لم يأكل ما ينقذه من الموت، فالإسلام راعى الضرورات وقدر الحاجات لكن التنظيم يرى رأيه وفهمه فقط».

فما تعيشه المرأة السورية جزء بسيط مما يعيشه المواطن السوري في إطار فهم فئة معينة للدين، ومن المؤسف أن هذه الفئة تضم من يملكون اليد العليا في مناطق تزيد مساحتها على ثلث سوريا، ويتحكمون فيها على هواهم، ويقرون قوانينهم الخاصة، فيما تتحمل المرأة العبء الأكبر من هذه القوانين المشوهة فكرياً ونتائجها. والمستقبل يخبئ المزيد لسوريا التي تحتضر في ظل ديكتاتوريتين، علمانية ودينية.

حكاية وعد

• وجدان ناصيف

«صوت استغاثة الطفلة وصراخها عندما دخل الرجل الكبير الغرفة كان قوياً لدرجة أن قارع الطبل توقف عن عمله الذي كان يقوم به بحماسة شديدة منذ بعض الوقت. توقف الراقصون، توقف شاربو الخمرة وحتى المصّلون توقفوا. وضعت أمي يديها على أذنيها وأدخلت أخواتي غرفتهن وأقفلت الباب، أبي رفع صوت التلفاز الذي كان يبث نشرة الأخبار الأخيرة ذاك المساء. خرجتُ إلى مدخل الحارة حيث اعتدنا أن نجتمع أنا وأصدقائي كل حين. مشينا إلى بيت الرجل بدون أن نناقش الأمر. كنا مراهقين صغاراً تجمعنا دماء الغضب التي كانت تندفع في رؤوسنا مع اشتداد صوت الاستغاثة. نسيت بالضبط من كان صاحب الفكرة بأن نقتحم البيت وننقذ العروس الصغيرة. كانت طفلة أصغر منا وهو كان بعمر آبائنا الذين اعتبروا الأمر يومها شخصياً ومن غير المسموح أن نتدخل. لكن «رؤوسنا كانت حامية» ولا شيء كان يمكن أن يوقفنا. هاجمنا البيت ودخلنا الغرفة.. لكننا لم نستطع إيقافه، استمر بذلك رغم وجودنا..! ومع نهاية الليل كنا مجرد شهود على جريمة اغتصاب الصغيرة، جريمة يحميها الشرع ويتغافل عنها القانون ولا يرفضها المجتمع».

يروي صديقي الحكاية التي شهدها رداً على سؤالي عن تزويج القاصرات: «حدث ذلك كثيراً في مجتمعاتنا، خاصة الفقيرة منها، ولا شك أنه لازال يحدث»، يقول ويتابع حكايته:

«بقيت أسمع صوتها في رأسي لسنوات طويلة، حتى عندما رأيتها فيما بعد تجرُّ عربة طفلها الذي أنجبت غيره وغيره من ذات المغتصب. وفي كل مرة كانت تمرّ في الشارع توقظ في رأسي مشهد الجريمة التي كنت شاهداً عليها. كنت أنظر إليها محاولاً البحث في تفاصيل وجهها الذي بدأ يشيخ باكراً عن أي احتمال للحزن أو للفرح أو للغضب، ولا أجد شيئاً. كانت قد أفرغت روحها من كل المشاعر ذاك المساء».

ذلك حدث في بداية الثمانينات في حي التضامن الفقير في قلب العاصمة دمشق.

روى صديقي هذا حكايته ليخفف من صدمتي وأنا أقرأ عليه خبراً صغيراً: «وعد تزوجت من سعودي»!

حين التقيتها في بداية 2012 كانت قادمة من حمص إلى دمشق مع أمها وأخويها. كانت وعد يومها في التاسعة، روت لي أمها كيف أنه وبسبب الرعب الذي شهدوه جراء القصف على أحياء حمص القديمة، بدأت وعد تنزف، «أجتها الدورة»، قالت لي الأم يومها، لم تكن وعداً تتكلم كثيراً، وأستطيع القول إني لم أسمع صوتها ولا مرة، رغم أنيّ في المرات التي زرتهم فيها كنت أتقصد مخاطبتها، لكنها كانت غالباً تختفي في زاوية ما من الغرفة، فتتحدث أمها همساً عنها: «بمكن لازمها طبيب بولية»!.

ككثير من الأطفال السوريين الذين شهدوا الرعب، عانت وعد من السلس البولي، وتبرعت إحدى الطبيبات بتقديم كل ما أمكن لعلاجها، لكن صمتها وكآبتها كانا يتطلبان أكثر من ذلك بكثير.

مع بداية العام الدراسي اختفت العائلة فجأة، قيل إنهم عادوا إلى حمص، وقيل إنهم ما إن تأكد نبأ مقتل الأب في إحدى المعارك حتى قررت الأم الالتحاق بأهلها في لبنان، هذا يحدث! بعدها سمعت أشياء عن إهمال أهلها لها ولأولادها بسبب ضيق المنزل وفقر الحال، هذا أيضاً يحدث! ثم علمت أن وعد وأمها وأخويها أصبحوا في السعودية، وهذا أيضاً يحدث! فالسوريون تشتتوا في أصقاع الارض.

لكن الخبر الذي لم أستطع أن أعلّق عليه بجملة: «هذا يحدث» هو خبر زواج وعدٍ من رجل سعودي! من السهل تخيل الأسباب: الإقامة، الضغط المادي، الحاجة لرجل يحمل مسؤولية الأسرة، البحث عن الآمان.. لكن من الصعب تخيل فكرة أن يتجرأ رجل على جرح طفولة وعد وبراءتها، وعد طفلة بجديلة و«خدود وردية»، عيناها بلون خضرة بلادي وطفولتها مثل ربيعها الذي اجتمعوا على اغتصابه.. كان يجب أن تتدحرج الصغيرة على ربيع طفولتها بهدوء، لتصل إلى لحظة يكون فيها الزوج زوجاً وليس مغتصباً، كان يجب أن نكف عن قول «هذا يحدث» وكأنه أمر طبيعي، فتزويج القاصرات جريمة يرتكبها ليس فقط المغتصب (الزوج) بل كل من يكون شاهداً على جريمته.

رسالة عقل إلى عاقل «سيتزوج»

• صبحي فرنجية

يعتري الحملات الإنسانية، أحياناً، جوانب عاطفية، تطغى على هدفها الحقيقي، في جوهره العقلاني، أو المعاملاتي، وبالتالي، يمكن أن تتحول تلك الحملة إلى قصيدة شعر، أو أغنية في أوركسترا. وذلك حسن، من باب إغراء النفس، ودفعها إلى التغيير، لكن ما يثير القلق، هو بقاء الأثر في داخل الإنسان دون الخروج إلى الحيز العملي، والظهور على شكل تغيير في مجتمعه الذي هو جزء منه.

الحديث عن تزويج القاصرات في مجتمعنا بات متكرراً، خصوصاً مع ازدياد الظاهرة في مخيمات اللجوء السوري، كالزعتري، حيث سجلت عدة شهادات حول تزويج فتيات بعمر يقل عن 15 عاماً، لرجال بلغوا من العمر عتياً، وأحياناً، من شبان في العشرينات والثلاثينات من العمر.

لكن ما لفت نظري في حديث معظم الصحف، والحملات حول هذه الظاهرة، هو استثناء «الزوج» والتوجه بحديثهم إلى أهالي الفتيات، وأمهاتهن على وجه الخصوص، وفي أحسن الأحوال إلى أولياء أمورهن، وبتصوري أنه من الأجدى توجيه كلام، يبتعد عن العاطفة، ويلامس العقل، والمنطق، إلى أولئك الذين يتخذون قراراً يتنافى مع حقيقة الزواج، ومبدئه، بتزوج فتاة، لم تبلغ من العمر إلا ما يؤهلها للعب مع صديقاتها، والنوم مع ألعابها، على سرير زهري اللون.

هل يسعدكَ عزيزي «العريس»، أن تمسك معصماً بيدك، لا يشكل فيها إلا ما تشكله يد أختك الصغرى، أو ابنتك، تشده، وتحاول ملأه بلمسات من المفترض أن تكون عاطفية، إلا أنها لا تكون إلا كملمس حجر يخدش زجاجاً، يتصور أنه يداعبه، أو يلمعه جمالاً. فلا الصوت الصادر عن الاحتكاك يرضي الحجر، ولا يسعد الزجاج إن بقي صامداً.

هل يسعدك عزيزي «العريس» أن تشارك في فراشك، فتاة، تراك كالوحش، يلتهم جسدها، وتهرب منك برميك بلعبة، أو كرة مطاطية، صارخة أريد أمي، أريد أبي، أرجوك لا تأكلني، هل تخيلت المشهد الذي يمكن أن تكونه في تلك اللحظات، عملاقاً كبيراً، لا رأفة فيه، ولا حس، بشعر أسود، كتلك الوحوش التي تراها فتاتك في أفلام الرعب الكرتونية، وقصص الحسناء والوحش، ودماء الإنسانية تسيل من فمك، مسدلاً عليك لباس تاريخ أسود لمستقبل، قد، تواجهه ابنتك، أو أختك. فهل ترى!!

هل يرضيك عزيزي «العريس»، أن تخرج من منزلك، لتلتقي أصدقاءك، وفتاتك، في المنزل باكية، تتمسك بقطة من صوف، أو دب من قماش ناعم، وتروي له قصة:

«كنت ألعب مع صديقاتي في الطريق، فجاء أبي إلي وقال لي، سنذهب في نزهة، إلى الأبد، ألبسوني أبيض، وسلموني لوحش في غابة الإنسان، أخذني، خلع ثيابي، وضربني لأسكت بعد أن بكيت، وصرخت، خفت منه، احتضنني، اعتقدت أنه أصبح إنساناً ويعاملني كأبي، لكنه خدعني وفعل ما لا أفهمه، لقد جرحني، وسال دمي، خفت كثيراً، إلا انه كان يبتسم ويقول انتهينا... أريد أن أعود إلى الطريق إلى صديقاتي، أريد أن ألعب، أريد أن أكون طفلة، لا زوجة لوحش!!!».

ما الغاية من الزواج، إن كان سيجعلك في شراكة طفلة، لا تعي من الحياة إلا اللعب، والمتعة بأشياء لا تذكرك إلا بطفلة قد تنجبها أنت، هذه الطفلة، لن تدرك ما معنى أن تكون زوجة، أن تعمل معك في بناء المستقبل، أن ترشدك في حال أخطأت أنت، أن تمسح على كتفيك إن كنت متعباً، أن تكون عامودك الفقري في الحياة.

لن تكون هذه الطفلة، تلك المرأة التي نحلم بها كلنا، راشدة، عاملة، عاقلة، دليلك نحو قلبك، ومنارتك نحو الكمال... لن تكون طبيباً لروحك، وشفاء لحاجتك لأنثى تعيدك من زمن الضياع إلى زمن السكون النفسي، وجزء روحك الذي تاه منك في عالم ما، وتبحث عنه في هذا العالم، منذ ولادتك، أو قل منذ وجودك في الرحم.

عزيزي «العريس» قف لحظة، أمام نفسك، ومرآتك، وقل: «أنا لست مريضاً، أنا لست مريضاً، أنا لست مريضاً لأتزوج فتاة بعمر أختي الصغيرة المدللة، أو ابنتي التي تحتمي بأحضاني من خوف يعتريها»، أعد العبارات مراراً وتكراراً، فإن بقيت لديك رغبة بتزوج من وصفتها «بأختك المدللة، وابنتك الخائفة»، اترك المرآة وتوجه إلى أقرب عيادة للطب النفسي، قبل أن ترتكب خطأ يصم حياتك بالأسود، وقلبك بالوحشية، وروحك بالعفن الذي لا يزول.

الآثار الفيزيولوجية والسيكولوجية للزواج المبكر

• إعداد فريق تحرير سيدة سوريا

تترتب على تزويج الطفلات القصر آثار سلبية بالغة من الناحيتين الفيزيولوجية والسيكولوجية، إذ يحتاج جسد الفتاة ما بين خمس إلى ست سنوات بعد البلوغ لتصل إلى سن النضج الجسدي، النفسي والجنسي. ويؤكد الأطباء أن زواج القصر اللواتي لم يتجاوزن سن العاشرة أو الحادية عشرة من العمر يعتبر ظاهرة مزعجة وخطيرة من الناحية الصحية، حيث تكون الفتاة في سن الطفولة وليس لديها الإدراك النفسي ولا الصحي أو الاجتماعي بالمسؤولية التي سوف تلقى على عاتقها، كزوجة أولاً، ومن ثم كأم في هذه المرحلة المبكرة من عمرها. من المعروف أن الطفلة في هذه المرحلة العمرية المبكرة لا تعي حجم المسؤولية، ولا يمكنها تمييز الأمور، وتحتاج إلى الكثير من التوجيه والنصح في مسار حياتها المستقبلية، كالاهتمام بنموها وصحتها وتربيتها، وهذا يتطلب سنوات حتى تصل الفتاة إلى نضج يمكنها من خلاله تحمل مسؤولية الاهتمام بالحياة الزوجية.

الآثار الفيزيولوجية على القاصر المتزوجة:

إن تكوين جسم الطفلة في هذه السن الصغيرة لا يساعدها على تلبية متطلبات الزواج لأن هذه السن هي بداية مرحلة البلوغ، والتي قد تستمر إلى سن الثامنة عشر من العمر، حيث تبدأ التغيرات الهرمونية، ويبدأ نزول الحيض، ويبدأ الثديان بالنمو وتنمو العظام وتحدث تغيرات هيكلية في بنية الجسم بالكامل، ويتغير شكل الحوض ويبدأ حجم الرحم بالنمو، وتستغرق هذه التغيرات من خمس إلى ست سنوات بعد سن البلوغ، أي عند وصولها إلى ما بين ستة عشر وثمانية عشر عاماً.

وتعتبر الآثار السلبية على جسد الطفلة القاصر التي يتم تزويجها بالغة السوء، يتمثل ذلك في تمزق المهبل والأعضاء المجاورة له من آثار الجماع، وازدياد نسبة الإصابة بمرض هشاشة العظام في سن مبكرة نتيجة نقص الكلس، إضافة إلى ضرر وإعاقات دائمة تصل في حالات كثيرة إلى عدم الإنجاب أو الوفاة.

وإذا ما حصل الحمل عند القاصر، فسيترافق في معظم الحالات بفقر الدم والإجهاض، حيث تزداد معدلات الإجهاض والولادات المبكرة، وذلك إما لخلل في الهرمونات الأنثوية، أو لعدم تأقلم الرحم على عملية حدوث الحمل، ما يؤدي إلى حدوث انقباضات رحمية متكررة تؤدي لحدوث نزيف مهبلي، وولادة مبكرة، وارتفاع حاد في ضغط الدم قد يؤدي إلى فشل كلوي ونزيف، وحدوث تشنجات، وزيادة العمليات القيصرية نتيجة تعسر الولادات في العمر المبكر، وارتفاع نسبة الوفيات نتيجة المضاعفات المختلفة للحمل، وظهور التشوهات العظمية في الحوض والعمود الفقري بسبب الحمل المبكر.

وتكثر لدى الفتاة مشاكل الجماع المهبلية، فتحدث الألم بسبب التشققات التي تحدث في المهبل، وذلك بسبب عدم نضوج المهبل، وكذلك عدم إفراز الهرمونات الأنثوية بشكل طبيعي في هذه السن. وتكثر الالتهابات في الجهاز التناسلي والبولي. وفي هذه السن تكون الطفلة غير مدركة للجنس، مما يفقدها المتعة الجنسية في المستقبل.

آثار الزواج المبكر على الجنين:

لا ينجو الجنين من آثار زواج الأم المبكر، إذ إنه يتعرض لكثير من المخاطر، منها الاختناق في بطن الأم نتيجة القصور الحاد في الدورة الدموية المغذية للجنين، والولادة المبكرة وما يصاحبها من مضاعفات مثل: قصور في الجهاز التنفسي لعدم اكتمال نمو الرئتين، واعتلالات الجهاز الهضمي، وتأخر النمو الجسدي والعقلي، وزيادة احتمال الإصابة بالشلل الدماغي والعمى والإعاقات السمعية والوفاة بسبب الالتهابات.

الآثار النفسية للزواج المبكر:

ولا تقل الأضرار النفسية التي تتعرض لها الأم القاصر وطفلها عن الأضرار الصحية، ومن هذه الأضرار:

• الحرمان العاطفي من حنان الوالدين، ومن

عيش مرحلة الطفولة التي يفترض أن تمر بسلام لتكبر الطفلة وتصبح إنسانة سوية، لذا فإن حرمانها من الاستمتاع بهذه السن يؤدي عند تعرضها لضغوط إلى ارتداد لهذه المرحلة في صورة أمراض نفسية مثل الهستيريا، الفصام، الاكتئاب، القلق، اضطرابات الشخصية واضطرابات في العلاقات الجنسية بين الزوجين ناتج عن عدم إدراك الطفلة لطبيعة العلاقة، مما ينتج عنه عدم نجاح العلاقة وصعوبتها، وقلق واضطرابات عدم التكيف، نتيجة للمشاكل الزوجية وعدم تفهم الزوجة لما يعنيه الزواج ومسؤولية الأسرة والسكن والمودة.

• الإدمان نتيجة لكثرة الضغوط كنوع من أنواع الهروب.

• آثار ما بعد الصدمة (ليلة الدخلة)، وهي مجموعة من الأعراض النفسية التي تتراوح ما بين أعراض الاكتئاب والقلق عند التعرض لمثل هذه المواقف. ويشكل الخوف حالة طبيعية عند الأطفال ومن هم دون سن البلوغ، كالخوف من الظلام والغرباء والبعد عن الوالدين.. ويزول هذا الشعور بعد مرحلة البلوغ، لذلك فإن الخوف وما يترتب عليه قد يصاحب القاصر إذا تعرضت للزواج في هذا العمر.

• الانغلاق اللاإرادي للمهبل لمن هن في عمر مبكر، وهو مرض نفسي ابتداء، يزيد من احتمال حدوثه الخوف والقلق من الشدة الجسدية من الزوج، وهي حال مرضية تستدعي التدخل الطبي.

• هناك أيضاً قابلية للإصابة ببعض الأمراض النفسية خلال فترة النفاس (نتيجة احتمال إصابتها بأمراض نفسية قبل الحمل)، وعدم اكتمال النضج الذهني فيما يخص اتخاذ القرارات، وما يترتب عليها بالنسبة للعناية بالطفل وواجبات الزوج والعلاقة مع أقاربه.

أما بالنسبة للآثار النفسية على أطفال الأم القاصر، فتنحصر في:

• الشعور بالحرمان، فلا يمكن أن تقوم الأم القاصر بعملها كأم ناضجة.

• اضطرابات نفسية يصاب بها طفل الأم القاصر، تؤدي إلى أمراض نفسية في الكبر كالفصام والاكتئاب نتيجة وجود الطفل في بيئة اجتماعية غير متجانسة.

• تأخر النمو الذهني عند الأطفال نتيجة انعدام أو ضعف الرعاية التربوية الصحيحة حيث لا يمكن للأم القاصر أن تقوم بواجبها التربوي تجاه أطفالها.

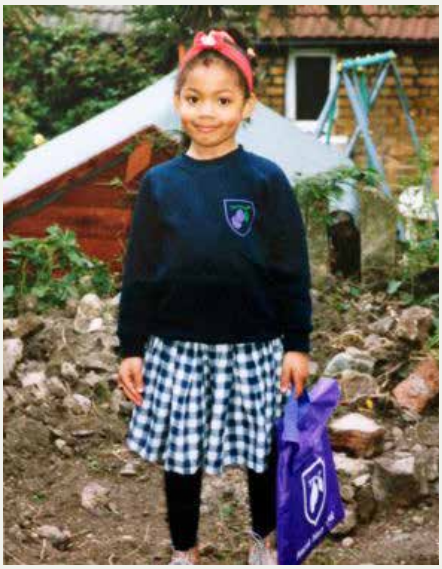

الحلول:

أفضل الطرق لمعالجة هذه الظاهرة هي التوعية والتثقيف للآباء والأمهات عن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، بالمخاطر الصحية والنفسية التي قد تحدث للأطفال في هذه السن، فالأطفال ليست لهم دراية بهذة المخاطر، وليست لديهم القدرة على الاختيار والرأي بخصوص الزواج.

وما يجب أن تمارسه الطفلة هو طفولتها بكل براءة، والاستمتاع بأفضل سنوات العمر دون تحميلها مسؤولية لا تقدر عليها.

مزكين يوسف لسيدة سوريا:

«المعاناة كانت الحجر الأساس في انخراطنا في الثورة السورية منذ اندلاعها.. وما تناوله الإعلام حول أزمتنا ليس إلا غيضاً من فيض»

• حاورتها سيدة سوريا

من مكونات النسيج السوري، ذي الأقلية العددية. برزت قضيتهم إلى الواجهة الصيف الماضي مع عمليات التهجير التي قام بها تنظيم «الدولة الإسلامية» في شنكال.

لسيدة سوريا، تتحدث مزكين يوسف، رئيسة مجلس إيزيدي سوريا، عن الإيزيديين، العقيدة والبنية المجتمعية والسياسية.

تعرّف العالم على الإيزيديين بشكل أكبر بكثير بعد أزمة «داعش»، ما الذي يمكن أن تقوليه عن الإيزيديين كمكون بشري، ووجود تاريخي في الجغرافيا التي يسكنونها؟

الإيزيديون مجموعة بشرية تدين بالله الواحد، سُمُّوا بالإيزيديين نسبة إلى ديانتهم «إيزيد/ أزدا» أو الروح الطاهرة الجديرة بالعبادة. وتقوم هذه الديانة على مبادئ التسامح والخير واحترام الآخر ونبذ العنف والإكراه.

يتواجد الإيزيديون في العراق وسوريا، ويعيش أغلبهم قرب الموصل ومنطقة جبال سنجار في العراق، كما تعيش مجموعات أصغر في تركيا، سوريا، ألمانيا،جورجيا وأرمينيا. عرقياً تعود أصولهم للشعب الكردي، والكردية هي لغتهم الأم، وجميع صلواتهم وأدعيتهم و طقوس ديانتهم باللغة الكردية.

قبلتهم الشمس، ومركزهم الديني الأساسي هي «لالش» شمالي العراق. الديانة الإيزيدية غير تبشيرية، لا يستطيع الأشخاص من الديانات الأخرى الانتماء إليها، أما الوجود الإيزيدي في سوريا، فهو وجود تاريخي، يعود إلى مرحلة ما قبل وجود الدولة السورية بشكلها الحالي، وليس كما يدعي البعض بأن الوجود الإيزيدي في سوريا، يعود إلى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

يتوزع الإيزيديون في سوريا بمحافظتين أساسيتين، هما حلب والحسكة، حيث ينتشرون في محافظة الحسكة بمنطقة تمتد على طول الحدود السورية التركية من بلدة تربسي\القحطانية شرقاً، حتى سريكانيه\ رأس العين غرباً، ثم نزولاً حتى مدينة الحسكة جنوباً. عدد قرى الإيزيدية في محافظة الحسكة حوالي 50 قرية، أما في محافظة حلب فيتركز الإيزيديون في منطقة عفرين بقرى عديدة تزيد على الـ 60 قرية. ويُقدر عدد الإيزيديين إجمالاً (حسب إحصائيات غير رسمية) بحوالي 150 ألف نسمة.

نتمنى أن تقدمي لنا مجلس إيزيدي سوريا.

نحن ككرد إيزيديين عانينا من السياسات العنصرية التي كانت تتبعها الأنظمة المتعاقبة على الحكم في سوريا، فالديانة الإيزيدية غير معترف بها في الدستور السوري، وهذا يعني حرمان المواطن الإيزيدي من أداء طقوسه الدينية بحرية، والطلبة الإيزيديون مجبرون حتى يومنا هذا على دراسة الديانة الإسلامية في المدارس.

بالإضافة إلى أن شهادة الإيزيديين غير معترف بها أمام المحاكم والجهات السورية الرسمية.

والمشكلة الأكبر هي الزواج، فالأيزيدي مجبر على الزواج وفق الشريعة الإسلامية.

هذه المعاناة كانت الحجر الأساس في انخراطنا في الثورة السورية منذ اندلاعها، وعبرنا عن أنفسنا بنضالنا السلمي، الذي هو أساس وروح قيم هذه الديانة، لذلك نحن (النخبة المثقفة من المجتمع الإيزيدي)، عملنا على تأسيس كيان سياسي مستقل باسم «مجلس إيزيدي سوريا»، وهو مجلس سياسي، يسعى للدفاع عن حقوق الإيزيديين السوريين الثقافية، الاجتماعية والسياسية، وفقاً لشرعة حقوق الإنسان، والشرعة الدولية، في إطار الدولة السورية.

يؤمن المجلس بالدولة المدنية الحديثة، وبمبادئ الديمقراطية، الحرية، العدالة والمساواة، بين كافة المكونات القومية، الإثنية، الدينية واللغوية، ويدعو إلى المساواة التامّة بين الجنسين، دون تمييز. كما ينبذ المجلس كافة أشكال العنصرية والعنف والإرهاب، أياً كانت مصادره، ودوافعه. ويتخذ من مبادئ السلم والأمن الأهليين، أساساً للتعايش بين جميع أبناء مكونات المجتمع السوري المتعدد القوميات، الأديان، الطوائف والاتجاهات الفكرية.

ونظراً لتشتت الإيزيديين السوريين وهجرتهم إلى دول أوروبية، لا سيما ألمانيا، يعمل المجلس على أن يكون جسراً بين إيزيديي الداخل والخارج. يؤكد المجلس على استخدام «النضال السلمي الحضاري» المشروع والمنصوص عليه في الصكوك والمعاهدات والاتفاقات الدولية، سيما تلك التي أقرت من قبل الأمم المتحدة.

في سياق ملف في مجلة سيدة سوريا حول «تزويج القاصرات»، ومع علمنا بمقدار قسوة هذا السؤال، نتمنى أن تضعينا في تصور حول واقع ما حصل للنساء الإيزيديات في اجتياح «داعش» لمناطقهن، وقصة السبي لنساء وطفلات، خاصة أن الكثير من الأحاديث انتشرت، وربما فيها شيء من المبالغة، أو لغرابتها ربما؟ شعرنا أن فيها مبالغة أو تهويلاً.

لا أبالغ لو قلت إن كل ماتناقلته وسائل الإعلام كان غيضاً من فيض. الواقع مأساوي وغير قابل للتصديق، ففي القرن الواحد والعشرين يتعرض الإيزيديون لإبادة جماعية من قبل تنظيم إرهابي جهادي سلفي، يحاول العودة بالبشر قروناً إلى الوراء.

في عمليات الإبادة الجماعية هذه تعرض الشباب للقتل، والأطفال للجوع والإرهاب، والفتيات القاصرات والنساء للسبي والبيع في الأسواق، أو تقديمهن كهدايا. أقل ما يمكن قوله في هذا الصدد إنه انتهاك خارق للقيم الإنسانية، هو انتهاك واغتصاب للطفولة، للمرأة، للدين والإنسانية.

هذا التعذيب الجسدي والنفسي دفع الكثيرات منهن للانتحار خوفا من اغتصابهن.

ما هي تصوراتك حول حلول للواقع السياسي والاجتماعي في منطقتنا في ظل التوازنات الإقليمية والمتغير الدولي؟

إن الصراعات الموجودة على الأرض السورية لاتصب في مصلحة أحد، فالجميع خاسر في هذه المعركة، وللأسف أصبحت سوريا مرتعاً للإرهابيين، من كل أنحاء العالم، وساحة لتصفية الحسابات الدولية والإقليمية.

هذا المناخ الموبوء لا بديل له سوى الاحتكام للغة العقل والحكمة، والبحث سوية عن حل سياسي يكفل لجميع مكونات الشعب السوري حقوقهم، وذلك ببناء سوريا مدنية تعددية ديمقراطية، تضمن حقوق المواطنة والمساواة لكافة أبنائها بغض النظر عن الجنس أو الدين، أو المذاهب القومية والإثنية، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، لا بد من العمل الحثيث مع كافة مكونات الشعب السوري، بغية توحيد الرؤى السياسية من أجل الوصول إلى مؤتمر وطني سوري شامل يوحد الأهداف.

لماذا حملة طفلة لا زوجة ؟

لماذا يجب حماية طفلات سوريا من قدر تزويج القاصرات؟ لأن تزويج الطفلات ، وخاصة من هن دون سن ١٦ عاماً :

١. يسبب أذى على جسم القاصر لعدم اكتمال نموها، فكم من طفلة ماتت ليلة زفافها ، بسبب النزيف، تهتك الأعضاء، وتمزق الرحم. كل ذلك من تأثير العنف، وصغر الجسم، وضعف بنيته.

٢ . لو استطاعت القاصر الحمل، فسيكون ذلك خطراً على جسمها، يمكن أن يؤدي إلى موتها وموت الجنين.

٣. وإن وصلت إلى مرحلة الولادة، فاحتمال وفاة المولود في الأيام الأولى ٥٠٪ مايعني أن نصف المواليد يموتون، وإن عاش المولود فسيكون ضعيفاً معرضاً للمرض طوال حياته.

٤ . ولأن القاصر عند تزويجها، تتعرض لأزمات نفسية كثيرة بسبب المرور بتجربة الجنس القاسية في سن صغيرة.

٥ . أغلب حالات تزويج القاصرات لا تستمر بسبب عجز الطفلة عن منح الرجل ما يريده، ولأنه يمل منها بعد فترة قصيرة.

٦. الأم القاصر تعجز عن تربية طفل متوازن بل تعرضه لأمراض التوحد والانعزال والخوف و العصاب بأنواعه لأنها تتعامل معه بقلق وخوف وعدم معرفة.

٧. كل تلك الأشياء تعيد القاصر إلى بيت أهلها لكن كمطلقة حيث تتضاعف أزماتها و مأساتها التي تصيب أيضاً الطفل والعائلة والمجتمع

وزر تزويج الطفلة أمام الله في عنق أبيها أو أخيها أو من زوجها، حين يتركها دون حماية بين يدي شخص لا نعرف ما الذي يمكن أن يفعله بجسدها، وهي لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

دعد حداد عاشت وماتت من شدة الشعر!

• سامر مختار

كثيراً ما نقرأ نصوصاً أدبية لكتّاب وكاتبات، رحلوا عن عالمنا، لكن كتاباتهم لامست واقعنا الراهن، أو هكذا يتراءى لنا وفقاً لواقع نتوق إلى تغييره نحو الأفضل، وإذا أردنا أن ننظر للأمر من زاوية أخرى، فعلينا أن نكون أكثر جرأة، لنقول إن ما من أحد تنبأ حول مستقبل، هو حاضرنا الآن، والأمر أن هناك لحظة انكسار كانت تنمو كالأعشاب الضارة، وأجيال تتوالد، ولم يأت أحد ليوقف لحظة الانكسار تلك، قليلون هُم من توقفوا عن أكل الأعشاب الضارة، وقليلون هم من بادروا باقتلاعها!

ولعلَّ الشاعرة السورية دعد حدّاد (1937–1991) كانت إحدى هؤلاء الذين بادروا منذ البداية في عملية الاقتلاع.

حينما نبدأ بقراءة دعد حدّاد بدءاً من ديوانها الأول «تصحيح خطأ الموت» (1981)، وانتهاءً بديوانها الأخير «الشجرة التي تميل نحو الأرض»، والذي نشر بعد وفاتها في عام 1991، نجد أن خيار الشعر، وخيار الكتابة عند دعد هو في المقام الأول خيار العزلة، والخيار الثاني بإمكاننا أن نصيغه على شكل سؤال: كيف للشعر أن يكون شاهد على انعدام الحياة؟.. كيف يكون شاهداً على موتنا؟

نتذكر اليوم دعد حدّاد بوصفها أحد الأصوات الشعرية المتفردة في سوريا في السبعينيات من القرن العشرين.

نقرأ دعد حدّاد اليوم لنكتشف أن قصائدها حاضرة بقوة في حياتنا، وملامسة لواقعنا، وكأن هناك تقاطعات بين السواد الذي يطغى على المشهد السوري في سنواته الأخيرة، والسواد الذي يلّف قصائد دعد، قصائد ربما مازالت تحاول «تصحيح خطأ الموت»، كأن تطل عليكَ من خلال قصيدة بعنوان «استعدوا، أدوات التحنيط جاهزة»، لتقول في مطلعها:

يعتصرون الأدمغة الإلكترونية
بحثاً عن دور جديد
يعتصرون فيه بؤسك المقبل
ثم ينحني الممثل
المقتول في الغد
لغبائك القسري...
هذا عالمنا،
ارفع طفلك فوق الغيم
قد يتلوث في البيئة.

وإذ نشير إلى هذه القصيدة، في ديوان دعد الأول، فلأنها أشبه ببيان احتجاج، وقد يكون صوت الشاعرة فيها أعلى، نسبة إلى باقي القصائد.

إنذار:

اخلوا هذي الدار
إيقاع وطبول، موسيقا وحشية،
قبل البدء، بلحظة،
لحظة.. سلخ...
وكأن الشاعرة تروي مشهداً من حرب ما، أو مجزرة على وشك أن تبدأ، أو بدأت للتو:
استعدوا.. ستعدوا.. ألف مرة قلت.. استعدوا
فالنوم لا يكون أبداً أثناء السقوط..
في حفرة..
وأخيراً.. ما أروع أن يكون لكم... مأوى!

لتختم القصيدة أيضاً بمقطع شعري، محمل بلغة بصرية عالية:

الأقدام الصغيرة الحافية،
تسابق الفئران في الأزقة
وترفع حجراً في وجهها
أما الفئران، فترفع... بندقية!

تتشابك الصور والمشاهد البصرية في قصائد دعد، وكأن كل قصيدة عبارة عن لوحة تجريدية تتداخل فيها الألوان، وتمتزج فيما بينها، ليولد منها معنى ما. أو أن يُغرِقُكَ نصّ ما في مشاهد حية، تتحرك داخل نص واحد، صاغته شاعرة تمتلك حساسية عالية، لكل ما يدور حولها، ونقف هنا عند إحدى القصائد من ديوانها الأخير «الشجرة التي تميل نحو الأرض»، تصف فيها دعد، كيف مات طفل وأمه من شدة البرد، تبدأ القصيدة من «الملاءة السوداء»، التي لن تقي الطفل من الريح الثلجية العاصفة، وستكون بمثابة الكفن، الذي سيلفّ جثَّةَ الطفل، ومن بعده الأم:

استلقى الطفل فوق الملاءة...
السوداء...
الزهرة الحمراء قرب شعره...
الأم لملمت دموعها...

وجبال الثلج ازدادت علواً...
اقتربت الهِرَّة السوداء...
نامت قرب الزهرة الحمراء الصغيرة...اقتربت
الأم، لفّت نفسها مع الجميع...
بالملاءة السوداء..
وناموا جميعاً...
فوق جبال الثلج...وأشتدَّ البرد...
وهطلت أمطار...
حتى غيَّبت الجميع...

الموت، الوحدة والحزن، ثيمات تظل متلازمة، وحاضرة في قصائد عديدة لدعد، حتى مع اختلاف مواضيع القصائد، إذ إن بعض القصائد تأتي كما أشرنا سابقاً كمشاهد، أو لقطات، أشبه بلقطات سينمائية، لكنها معجونة بلغة شاعرية. وحتى القصائد التي تأتي بهيئة بوح، يتحول البوح فيها أيضاً إلى مشهد، كأن نقرأ في إحدى القصائد:

ثلاثة أطفال..
يحفرون قبري في الثلج..
الوحدة والحزن والحرية..
ثلاثة أطفال...
أبرياء...
إنهم حمر الوجوه من التعب...
ومن الشوق لدفني..
ثلاثة أطفال...
الوحدة والحزن والحرية
تحت وابل المطر... أو الثلج
يحفرون... إنهم يحفرون بعمق والثلج...

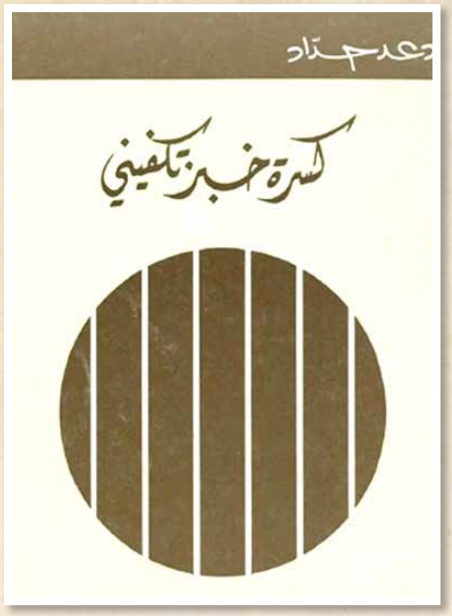

عميق... عميق... بعمق...
بحيرة منسية...

إن قدرة دعد حدّاد على كتابة قصائدها بهذه الجمالية في بناء «مشهد» متعدّد اللقطات، نابع عن تجربتها في كتابة المسرح، إذ إن لدعد أربع مسرحيات: «بائع الزهور المجففة»، «فقاعة صابون»، «اثنان في الأرض وواحد في السماء» و«سأحكي لكم قصتي». أضف إلى ذلك «التجريد» الذي نلحظه في بناء النص، والذي يبتعد عن أي شكل غنائي أو جمالي يفقد النص مضمونه، ويعود ذلك أيضاً إلى تجربتها في النحت.

دعد حداد من مواليد مدينة اللاذقية 1937، تلقت تعليمها ما قبل الجامعي مابين دمشق واللاذقية، بسبب ظروف عمل والدها الوطيفي، ومن ثم التحقت بكلية الآداب في دمشق (قسم اللغة العربية).

لم تكمل دراستها الجامعية، لكنها درست اللغتين الفرنسية، والألمانية، كما درست الموسيقى.

عملت كمدققة لغوية وأدبية في مطابع وزارة الثقافة، وكانت عضواً في جمعية الشعر في اتحاد الكتّاب العرب بدمشق.

مارست دعد النحت والرسم والعزف، وكتبت إضافة للشعر والمسرح قصصاً قصيرة للأطفال.

لم تتزوج، عاشت آخر عقدين من عمرها في دمشق، وتوفيت فيها عام 1991، عن عمر ناهز 54 عاماً. وهي أخت الشاعرة نبيهة حداد «أزهار الليلك» (1929 - 1978)، والمخرج السينمائي مروان حداد.

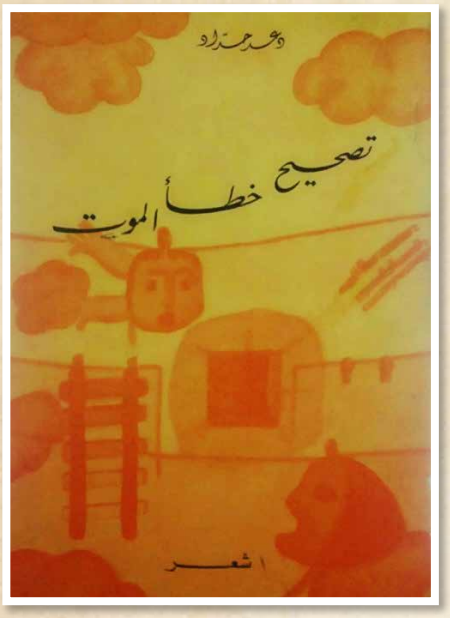

كتب عنها الشاعر السوري نزيه أبو عفش في مقدمة كتابها الأخير (امرأة لا تشبه إلاّ نفسها، تنفرد بين جميع من عرفت من الشعراء بكتابة بريئة من «آثار بصمات الآخرين»، شاعرة بامتياز، فوضوية بامتياز، كائن صنع من الفوضى، ليبشر بالفوضى، امرأة معجونة بالشعر، امرأة هي الشعر، وحدها التي تجرؤ على الإفصاح عن رغبتها المجنونة في تصحيح ما يرتكب الموت، أو الحياة ربما، من أخطاء. هي وحدها التي تكون مرغماً على تصديقها حين تقول: «كسرة خبز تكفيني» كأنما لم تخلق ليكون لها شأن في العالم، أي شأن، لا في الشعر ولا في سواه، لو أمكن أن تطرح عليها سؤالاً ما، يتصل بالمشهد اليومي لحياتنا.. لإجابتك بكل بساطة:

«**أنا يائسة من هذا العالم**»! ولأمكنك بكل بساطة أيضاً، أن تدرك المغزى الحقيقي لإجابتها المتبرمة الاعتباطية، القاطعة، التي تعني غالباً:

«**أنا إمرأة بلا مصير..**»

دعد تقول:

«**كسرة خبز تكفيني.....**
لا أحد يستطيع أن يسكن قبري
أنا من تحمل الزهور إلى قبرها وتبكي من شدة الشعر
أغمضوا أعينكم...
سأمر وحيدة كرمح».

إنها الشاعرة التي عاشت حياتها وماتت من شدة الشعر.

ثورة «ن»...

أيقونات الثورة المصرية من الميدان إلى السجون

• مها شهبة – القاهرة

أسماء البلتاجي

سامية جامين

نوارة نجم

سميرة إبراهيم

سالي زهران

نظرة فابتسامة فموعد فلقاء فقصة حب تنتهي بزواج..

متوالية تلخص حياة الكثير من الفتيات في مصر، كذلك كانت قصة الثورة متوالية أخرى.. لكنها حزينة

دعوة فشهادة فزغرودة.. ثم اعتداء وكشف عذرية، فاعتقال.

هذه قصة الثورة المصرية التي بدأت بدعوة ناشطات للتظاهر في ٢٥ يناير ٢٠١١، وتكاد تنتهي اليوم باعتقال فتيات اعترضن على قانون يمنع التظاهر.

هذه هي قصة الثورة المصرية بتاء التأنيث، وكل ما لا يؤنث لا يعول عليه.

المشهد الأول

الفضائيات تبث صور الثورة التونسية، والصرخة الشهيرة لمسنّ تونسي تملأ الفضاء العربي كله: بن علي هرب.. التوانسة.. الشعب العظيم..

ثم تتوالى صور الفرح التونسية، وكهل آخر يطلق صيحة الفرح المتأخرة: «لقد هرمنا من أجل هذه اللحظة التاريخية».

المشهد الثاني

مصر.. شباب يجلسون على المقاهي، يرددون مقولات المسؤولين المستقرين فوق المقاعد: مصر ليست تونس.. لكن الفتيات كان لهن رأي آخر، فقد أطلقن دعوة على الفيسبوك..»تظاهروا تصحوا».

انطلقت الشرارة الأولى من دعوة «أسماء محفوظ» ابنة العشرين عاماً، صارت أيقونة بسرعة بسبب نضالها الطويل على صفحات التواصل الاجتماعي. ثم تكررت الدعوة عبر صفحة «خالد سعيد» إلى مظاهرات تخرج في الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، وكان السبب وراء تحديد هذا التاريخ هو أنه يوم احتفال الشرطة المصرية بعيدها..

فلاش باك

في العام ١٩٥١ قامت الشرطة المصرية بأعمال بطولية للتصدي لقوات الاحتلال الإنجليزي في الإسماعيلية، وسقط شهداء كثيرون من رجال الشرطة. وبعد نجاح ثورة ١٩٥٢، تم إعلان يوم الخامس والعشرين من يناير كيوم للشرطة تحتفل به مصر كل عام.

بحلول عام ٢٠١٠ بدأ الاحتفال عبثياً إلى حد كبير، حيث لعبت الشرطة دوراً سلبياً في مصر، ازداد قمعها للشعب، وتجلى ذلك في حادثة «خالد سعيد»، المواطن الذي تم تعذيبه حتى الموت في أحد أقسام الشرطة، ثم الإساءة إليه إعلامياً بادعاء أنه مات بسبب «ابتلاعه لفافة بانجو».

المشهد الثالث

لاقت دعوة أسماء محفوظ، وقد انضمت إليها فتيات أخريات، نجاحاً كبيراً، واجتاحت الدعوة إلى التظاهر صفحات التواصل الاجتماعي. نزل الشباب في يوم الثلاثاء ٢٥ يناير إلى الشوارع مطالباً بتغيير قيادات الشرطة و بإصلاح ذلك الجهاز، خاصة بعد حادثتي خالد سعيد وكنيسة القديسين بالإسكندرية.

وكان أقصى طموح الشباب أن يشارك في هذه التظاهرات عدة آلاف. لكن الحوادث التي رافقت ذلك اليوم، وخاصة في مدينة السويس، وحي المطرية بالقاهرة، وسقوط شهداء وجرحى، جعل الشباب يدعون إلى الخروج مرة أخرى.

تكرر الأمر وصارت المظاهرة انتفاضة، ثم ثورة تتطور كل يوم، حتى هتف الشباب في الميادين بعد أسبوع «الشعب يريد إسقاط النظام».

المشهد الرابع

وجه صبية سمراء يطل من شاشة قناة الجزيرة، وهي تصرخ: «مفيش ظلم تاني» ثم تطلق زغرودة في الحادي عشر من فبراير، لتصبح هي وزغرودتها من أيقونات ثورة تتهجى الطريق إلى المستقبل. الصبية هي الناشطة «نوارة نجم» ابنة شاعر العامية المعروف «أحمد فؤاد نجم».

ومثلما كانت زغرودة نوارة صرخة فرح الثورة، كان وجه الشهيدة «سالي زهران» وضحكتها رمزاً آخر للثورة، رغم أن سالي ماتت بعيداً عن كل ميادين الثورة، حيث لقيت حتفها إثر سقوطها من شرفة منزلها في مدينة بني سويف بصعيد مصر، وهي تحاول الهرب من المنزل للمشاركة في الثورة في الشارع رغماً عن عائلتها.

وما إن نشرت إحدى الصحف صورة سالي مع قصة غير حقيقية عن استشهادها، حتى صارت رمزاً لثورة تبتسم لمصر الجديدة.. وقد كتب عنها الشاعر الراحل الكبير «حلمي سالم» قصيدة شهيرة قال فيها:

«لو أني كنتُ رأيتك قبل يناير/ كانت أسرتني عيناك الصاحيتان/ وخطفتني خصلات الشعر/ المتروكة ببدائية/ رسّام بوهيمي حول الوجه الصابح/ أبيض كحليب مأطور بالضربات التلقائية/ من أسود فحمي/ فأنا تخلعني من جذري/ فطريات الحس».

ورغم أن الصحف نشرت القصة الحقيقية لوفاة سالي فيما بعد، فإن صورتها بقيت علامة مع زميلاتها وزملائها الذين قدموا أرواحهم في الشوارع والميادين.

المشهد الخامس

وكما بدأت الثورة بدعوة من فتيات، وزغرودة وشهادة، بدأت الثورة المضادة بالاعتداء الوحشي على نوارة نجم عند مبنى الإذاعة والتليفزيون من قبل بلطجية دفع بهم إلى الشوارع والميادين لمواجهة تظاهرات الثوار التي كانت تنطلق كل جمعة للمطالبة بتحقيق أهداف الثورة.

المشهد السادس

كشوف العذرية.. بعد الثورة بأيام تعرضت الناشطة «سميرة إبراهيم» وعدد من الفتيات اللاتي شاركن في تظاهرات ميدان التحرير للإذلال المعنوي، حيث أجرت قوات من الجيش فحوصاً للكشف على عذريتهن، وكانت الحجة التي أعلنها المجلس العسكري وقتها، والذي كان يعني اعترافاً ضمنياً بالواقعة، هي ضمان ألا تخرج فتاة بادعاء أنها تعرضت للاغتصاب أثناء الاعتقال. وكانت تلك الكشوف من المسكوت عنه في أيام الثورة، حيث تم اعتقال شباب وفتيات، لكن سميرة إبراهيم رفضت السكوت، وباحت بما حدث، وقدمت بلاغاً للنائب العام، وأحدثت ضجة كبرى في مصر والعالم، حيث بات حديث كشف العذرية من الاتهامات الكبرى لفترة حكم المجلس العسكري الذي تولى إدارة البلاد بعد سقوط مبارك في ١١ فبراير ٢٠١١.

ورغم أن القضية التي حركتها سميرة إبراهيم لم تنتهِ بأية إدانة لأي أحد، وأنها قيدت ضد مجهول، رغم اعتراف عسكريين بالواقعة، فإن كشوف العذرية وسميرة التي كشفت عنها ظلت بقعة سوداء في ثوب الثورة والسلطة في مصر، وربما مثلت صافرة إنذار مبكر لما سيجيء..

المشهد السابع

خرجت فتاة ترتدي الحجاب لتشارك في المظاهرات عند مجلس الوزراء، فهاجمها الجنود في صورة باتت من اللحظات الفارقة في عمر الثورة، كشفت عن موقف المجلس العسكري من تطورات الثورة في الميدان. فقد تعرت البنت بسبب سحل الجنود لها وضربها بالأحذية، فما كان من الرأي العام المصري في أغلبه إلا أن أدان موقف الفتاة وسخر منها لأنها ذهبت إلى مظاهرة، ولأنها ارتدت عباءة «بكباسين»، يسهل فتحها.

وتحولت الضحية إلى ذبيحة في كل من الإعلام الرسمي والشعبي.. لكن الصورة باتت أيقونة عالمية ودليل إدانة على ما تفعله السلطة العسكرية في مصر بالفتيات. وباتت السلطة في مرمى الهجوم الدولي، وخرجت تظاهرات نسائية مصرية تدافع عن حق «فتاة مجلس الوزراء».. لكن الأمر سرعان ما مر كغيره من وقائع الانتهاكات ضد المرأة والتحرش بها في ميدان التحرير، والتي تكررت وقائعها أكثر من أربع مرات في صورة تكاد تكون مفتعلة أمنياً لتلويث صورة الميدان، ودفع الأسر المحافظة إلى إبعاد بناتهن عن المشاركة في فعاليات التظاهرات.

المشهد الثامن

بنات صغيرات في قفص الاتهام يبتسمن ببراءة، تحولن إلى أيقونة مصرية وعالمية جديدة تدل على فساد السلطة وبطشها وتغول النظام القضائي في لعبة السياسة بعدما تم الحكم عليهن لمشاركتهن في إحدى التظاهرات الصباحية للإخوان بمدينة الإسكندرية، والتي حملت اسم «جماعة السابعة صباحاً»، وهو موعد انطلاق التظاهرات.. وقضى الحكم بحبس كل منهن أحد عشر عاماً لكل فتاة. فثار الرأي العام المصري والعالمي ضد قسوة الحكم الذي ليس له مثيل في تاريخ القضاء المصري، ما أجبر النظام السياسي والقضائي على تبرئة الفتيات في محكمة الاستئناف.

لكن الاستهانة بالفتيات تواصلت ووصلت حد الاغتيالات، كما حدث في اغتيال بنات المنصورة، اللاتي كن يتقدمن تظاهرات الإخوان، وبدلاً من صب اللعنة على القاتل، اهتم الإعلام بتوجيه اللوم للإخوان لأنهم يحتمون بالنساء في تظاهراتهم التي سقط فيها شهداء كثيرون في المنصورة والقاهرة، وفي رابعة العدوية، كالإعلامية في جريدة الخليج الإماراتية «حبيبة عبد العزيز»، و«أسماء البلتاجي» التي تحولت ابتسامتها إلى صورة من صور الثورة المصرية، والتي احتفل الثوار منذ أيام بعيد ميلادها.

المشهد التاسع

وجه يارا

لم تتوقف السلطة عن قمع التظاهرات، ولم يعد الأمن يفرق بين الشباب والبنات، بل صار قمعه للبنات أكثر، وهذا تطور سلبي لتعامل الأمن مع الناشطات السياسيات. صحيح أن هناك سابقة في أيام حكم مبارك عندما تم التحرش بصحافية معارضة في إحدى التظاهرات أمام نقابة الصحافيين، إلا أن الموقف ساعتها كان من تنفيذ عدد من بلطجيات الأمن، الذي كان يخشى مواجهة الرأي العام بضرب السيدات.

ولكن هذا الأمر تكرر بفداحة في كل التظاهرات، وبات مشهد سحل البنات مألوفاً في تظاهرات جامعة الأزهر في عام ٢٠١٣ التي شهدت أعلى موجة عنف ضد البنات في التظاهرات السياسية، ووصل الأمر إلى اتهامات بالجملة لتعرض البنات للاغتصاب في أماكن الاحتجاز.

وفي أحدث نسخة من قمع البنات والثوار عموماً، جلس القاضي بوقار غريب، ليصدر حكماً غريباً بحبس متظاهري قصر الاتحادية، الذين تظاهروا رفضاً لقانون التظاهر الذي أصدره الرئيس المؤقت «عدلي منصور» في عام ٢٠١٤، وغلظ فيه العقوبات عن قانون التظاهر المصري الذي ظل يعمل به لمدة مائة عام، والذي أصدرته سلطات الاحتلال الإنجليزي في العام ١٩١٤، وكان أكثر رحمة من قانون عدلي منصور من حيث طبيعة التهمة وعقوبتها.

المتظاهرون الذين نالوا في الجلسة الأولى حكماً بثلاث سنوات سجن، كان من بينهم أربع فتيات، أشهرهن «يارا رفعت سلام» الناشطة الحقوقية المعروفة دولياً، وابنة الشاعر المعروف رفعت سلام، و«سناء سيف» ابنة الحقوقي اليساري الراحل «أحمد سيف» الإسلام المناضلة وشقيقة الناشط الأكثر اعتقالاً في مصر في أيام الثورة ومراحلها المختلفة «علاء عبد الفتاح»، وابنة واحدة من أيقونات الثورة: الدكتورة «ليلى سويف»، التي قدمت درساً مهماً في الأيام الأخيرة، عندما أضربت عن الطعام تضامناً مع أحد المسجونين من الإخوان رغم الخصومة السياسية والفكرية لها مع الإخوان.

الثورة ليست كلها سلبية فيما يتعلق بالفتيات في مصر.. فلم ينسَ أحد دعوة إسراء، ولا زغرودة نوارة، ولا مواقف «سامية جاهين» وفتيات الإخوان، ولا مواقف الكاتبة المعروفة «أهداف سويف» والناشطة والمحامية «عايدة سيف الدولة» في فضح ممارسات السلطة في مصر، لكن الحقيقة أن المرأة دفعت فاتورة الثورة المصرية مرتين، لأنها ثائرة ولأنها امرأة..

راضية النصراوي صرخة الحرية

• صوفية الهمامي – تونس

أعترف منذ البدء أنني لم أستطع كتابة هذه الأسطر عن الحقوقية راضية النصراوي بتجرد، بل احترت في التعامل معها والكتابة عن أيامها، بل سنواتها الطويلة التي أمضتها في الدفاع عن حقوق الإنسان بين أروقة المحاكم التونسية.

أما سبب عدم التجرد والحيرة فيعودان إلى راضية نفسها، فهي التي تقفز أمامي بوجهها الشاحب النازف بالدم والمزرق بالكدمات، تحدق في وجهي بما يشبه العتب وأشعر أنا بما يشبه الخجل.

الجريئة، الصابرة، المتربصة، العنيدة، الصامدة، صرخة الحرية المرهفة والام الحنون الجائعة دوماً لاكتشاف الحقيقة، رئيسة المنظّمة التونسية لمناهضة التّعذيب ومحامية قضايا حقوق الإنسان في تونس والوطن العربي منذ حوالي أربعة عقود.

أول امرأة تم انتخابها لعضوية الهيئة المديرة لجمعية المحامين الشبان التونسيين سنة 1980، وأول امرأة تنتخب لعضوية الهيئة الوطنية للمحامين سنة 1989.

أمامها يصير الخوف قزماً والشهقة تنفساً والحرية نسيماً والظل ضوءاً، أمامها يصير الآخرون رفاق غضب، قال عنها «المنصف المرزوقي» في مقال كتبه حين حكم على زوجها «حمة الهمامي» بالسجن ثلاث سنوات ودخلت في إضراب جوع كاد يفتك بحياتها: «إن راضية النصراوي مناضلة من النوع الصلب الذي لا تُكسر له شوكة بسهولة، وقد عاشت منذ انتصاب الدولة البوليسية اضطهاداً متواصلاً يندى له الجبين في أشكاله وانحطاطه. كل ذلك تم في ظلّ تواصل اعتقال أو اختفاء زوجها».

راضية النصراوي صديقة الجميع وعدوة كل المتنفذين والمارقين على القانون وعلى الشرعية من رموز السلطة وأصحاب رأس المال. كل الحكومات سواء في عهد بورقيبة أو ابن علي أو تلك الحكومات التي جاءت بعد 14 كانون الثاني 2011 تخشى التحرك النضالي لراضية النصراوي، نظراً لقدرة هذه المحامية على التعبئة وحشد الدعم للوقوف ضد أي تجاوز ينال من حياة الحرية والديمقراطية والعدل والمساواة.

يذكر أن ابن علي قال خلال مناسبتين لوزيرة المرأة ولرئيسة الاتحاد النسائي ما معناه: «عندما تتوفر لديكم نساء بخصال راضية النصراوي تعالوا وحدثوني عن نساء التجمع»، فقد كان ابن علي وبقدر ما كان يكرهها كان يخشاها ويحترمها.

ولدت في تاجروين في 21 نوفمبر 1953، وبحكم مهنة والدها مدير المدرسة كانت في تتنقل دائم مع عائلتها، لكنها قضت معظم حياتها في تونس العاصمة خاصة في جهة باردو.

حصلت على شهادة الباكالوريا وسنها 16 سنة، وتخرجت من الجامعة سنة 1974.

في الجامعة تعرفت إلى حمة الهمامي حيث درسا في نفس الفترة، وكانت مناضلة ضمن اتحاد طلبة تونس، التحقت راضية بسلك المحاماة سنة 1976 بعد أن امتهنت الصحافة لمدة عام ونيف.

تزوجت من حمة سنة 1981 بعد خروجه من السجن، ولها ثلاث بنات، نادية تعمل مهندسة في الإعلامية وهي خريجة مدرسة عليا بفرنسا، وسيماء طالبة العلوم السياسية، وآخر العنقود سارة تلميذة في مرحلة التعليم الأساسي، رغم أن راضية تكره الشؤون المنزلية إلا أنها شديدة الرعاية لبناتها وتراهن على نجاحهن في الدراسة.

كانت لراضية علاقة خاصة وسرية مع والدها المناضل الوطني، إذ كان يرى فيها تحقيقاً لذاته في دفاعه عن المظلومين، أما والدتها البالغة من العمر 83 سنة، وهي أم لستة أبناء وبنات، فتقول إن راضية عين من عينيها.

يقول زوجها حمة الهمامي: «أذكر جيداً أن راضية سافرت سنة 1998 إلى مالي كمراقبة في إحدى المحاكمات السياسية، وبلغني وأنا في السرية أن السلطات استغلت وجودها في الخارج لتلفق لها مجموعة من التهم حكمها 36 سنة سجن، وذلك بنية دفعها للبقاء في الخارج، وباتصالي بها لإبلاغها بالأمر كان ردها: «36 سنة سجن!! أنا عائدة إلى تونس عليهم انتظاري في المطار، لن يحلموا بذلك اليوم الذي أترك فيه تونس وأعيش بالخارج، أنا باقية في بلادي حتى نمرر عيشتهم».

ويضيف حمة: «ذكرت هذه القصة لأؤكد أن راضية امرأة لا يوجد في قاموسها شيء اسمه الخوف، يبدة للبعض أن راضية امرأة شرسة، وهي فعلاً شرسة ضد الظلم، لكنها امرأة رقيقة جداً، تدمع عيناها بسهولة حين تسمع قصة تعذيب أو ظلم، لكن دموعها سبب قوتها وصمودها لينصب حقدها على الظلم والظالمين».

ويؤكد حمة أن لقلب راضية فائضاً من الحنان على بناتها وعائلتها وأمها وكل المحيطين بها رغم انشغالاتها، ويختم بالقول: «راضية صديقتي المقربة، بعيداً عن الزواج نحكي كل شيء لبعضنا البعض».

لا تشعر بالفخر ولا تشعر بالخوف ولا تكترث بما يحتمه القضاء والقدر، هي مصرة على ممارسة دورها كمواطنة تونسية ومحامية حقوقية، فقد دافعت عن القضايا العادلة وعن والناشطين السياسيين بعيداً عن خلفيّاتهم الإيدولوجيّة أمام القضاء التونسي، وكانت النتيجة محسومة لفائدة أصحابها ولو بعد سنين.

وقفت راضية مرافعة ببسالة عن النقابيين حين استهدفهم ظلم السلطة وخفتت أصوات الدفاع عنهم خوفاً من بطش النظام، كما دافعت عن الإسلاميين زمن بورقيبة وابن علي وهي مازالت تدافع لنصرة كل من طاله الظلم أو الحيف بعد ثورة 14 كانون الثاني 2011.

ولأن راضية النصراوي كانت من أوائل المحامين الذين دافعوا عن نساء الحركات الإسلامية اللواتي تعرضن للتوقيف والتعذيب الوحشي أوائل التسعينات من القرن الماضي، تم تكريمها بجائزة «كمال جنبلاط» لحقوق الإنسان في شهر مارس 2012.

كما فازت الحقوقية النصراوي بجائزة «لوران برجر» للكرامة الإنسانية، وهي جائزة تضاهي تقريباً جائزة «نوبل للسلام» في قيمتها المالية، ولكنها تصرف على آخر فلس في قضايا حقوق الإنسان، أما آخر جوائز راضية النصراوي فكانت يوم 25 كانون الثاني 2013، وهي جائزة «أولوف بالمه» لحقوق الإنسان، وهو الوزير السويدي الأول الذي اغتيل، وقد كان من بين القادة الأوروبيين القلائل المناصرين للقضية الفلسطينة والمعادين للصهيونية.

عن جائزة أولوف بالمه لحقوق الإنسان قالت راضية: «أهدي هذه الجائزة لكل ضحايا التعذيب في تونس، مساندة لهم لما يتعرضون له من عنف وانتهاكات مازالت متواصلة إلى اليوم».

يبقى صدر راضية عامراً بالإيمان بالقضايا العادلة، مرصعاً بالكثير من الأوسمة التونسية، العربية والدولية.

لراضية النصراوي علاقة وطيدة مع منظمة العفو الدولية، تعود لأكثر من ثلاثة عقود، كلفتها المضايقة والتضييق لسنوات عدة، وعن المنظمة تقول: «عندما اتصلتُ بمنظمة العفو الدولية أول مرة، كنت محامية ناشئة في مستهل عملي المهني. كان ذلك سنة 1978، عندما وقعت حوادث

الشغب وقمع النقابيين. وأثناء عملي بشأن تلك القضايا، فهمتُ مدى فعالية عمل المنظمة».

وان كان هناك تونسيون يؤمنون بعمل راضية النصراوي، فإن أعضاء ومناصري منظمة العفو الدولية يزيد عددهم عن ثلاثة ملايين في أكثر من 150 بلداً، يعرفونها ويساندون ويتعاطفون مع القضايا التي تثيرها أو تدافع عنها، لا باعتبارها رئيسة الجمعية التونسية لمناهضة التعذيب، بل لمواقفها البطولية في خدمة قضايا الإنسان بصرف النظر عن الجنس أو الإديولوجيا أو المكانة الاجتماعية.

كمخاطبة للمنظمات الدولية، راضية النصراوي ينطبق عليها المثل القائل: «إذا قالت حذام فصدقوها»، فهم يثقون ثقة تكاد تكون مطلقة في ما تقدمه من معطيات، لجديتها وتقصيها حول ما يردها من معلومات وأخبار وابتعادها عن الإثارة.

قناعات ومبادىء وأهداف المحامية الشرسة لم تتغير على مرّ السنين لأنها تحولت إلى ما يشبه العقيدة، أمام التعذيب وانتهاكات حقوق الإنسان تدافع بنفس الجدية والشراسة عن الضحايا دون اعتبار لانتماءاتهم، فحين يسأل سلفي عن راضية يقول: هي أمي، وحين يسأل يساري يرد بنفس العبارات.

ومن المفارقات أن المظاهر المشينة التي تمقتها المناضلة راضية النصراوي ما زالت متواصلة بعد ثورة 14 كانون الثاني 2011 حيث تقول: «التعذيب متواصل ويكاد يكون بشكل أكثر فظاعة ووحشية من السابق، هناك حالات أصيبت نتيجة التعذيب في السجون ومراكز الأمن التونسية والحكومة لا تتخذ إجراءات فعلية لإيقافه..»

لقد عانت راضية النصراوي نفسها ولعلها مازالت تعاني من الملاحقات والمضايقات من طرف أعداء الحرية، فبعد الثورة أكدت ملاحقة البوليس السياسي لها وأشارت إلى تنصت على هاتفها يرافقها بالطرق القديمة نفسها، تضيف: «لا توجد أية إصلاحات في وزارة الداخلية، لأن بعض الأطراف تعمل على إصلاح المنظومة الأمنية، في حين يعرقل مسيرة الإصلاح العديد من الأطراف في الهيكل نفسه».

ومن سخرية القدر أن راضية النصراوي التي يحتفظ جسدها ووجهها بكدمات وخدوش نتيجة ما تعرضت له من عنف جسدي من طرف أعوان السلطة، مازال نضالها الحقوقي يصطدم بهذا العنف.

المساواة بين الجنسين

الصورة النمطية للمرأة في المجتمع وانعكاساتها في الإعلام النسائي/ الجزء الثاني

دراسة أعدها قسم الخدمات التعليمية المستدامة وقضايا الصحة/ وزارة المجتمع-فرنسا

• ترجمة: د. إنعام شرف
فريق ترجمة سيدة سوريا

الإعلام النسوي والحركات النسوية

إذا كانت المقالات النسوية اليوم لا تزال مشغولة بالمطالبات المتعلقة بحرية المرأة وبحقوقها، فإن الحركات النسوية في المقابل، لم تعد تشكل موضوعاً للمعالجة أو النقاش، فالإعلام النسوي، بحسب «فيرجين بويتون»، ليس إعلاماً سياسياً، وإن كان بإمكان المؤيدين لقضية المرأة تسليط الضوء على موضوعات تتعلق بعدم المساواة والإقصاء، فإنهم لا يفعلون ذلك في إطار التحليل السياسي. علماً أن الإعلام النسوي، حسب بويتون، ينال خصائصه من خلال التحليل السياسي، ومن المقترحات النضالية واليوتوبيا الاجتماعية.

وهناك العديد من المجلات النسائية التي تعتبر أن المجتمع دخل في مرحلة ما بعد النسوية، خاصةً وأنه لا يوجد أي إجماع على هذا المفهوم. هل علينا إذن أن نفهم من «ما بعد النسوية» أن المرأة حصلت على جميع حقوقها، بأنه لم تعد هناك مشكلة في المجتمع حيث يعيش الرجال والنساء تحت مظلة المساواة والعدالة الاجتماعية؟ يوجد اليوم تيار كامل من أتباع «ما بعد النسوية» يهدد المكتسبات التي تمكنت المرأة من الحصول عليها، فمثلاً، هناك من يدعي أن المرأة هي عدوة نفسها، وأنها تصنع بؤسها من تلقاء ذاتها. وهناك من يأخذ النجاحات الفردية كنموذج ويسقطه على الحالة العامة، مدعياً أن المرأة نالت جميع حقوقها في المساواة مع الرجل. متجاهلين بذلك أن غالبية النساء لا تحصل إلى اليوم على نفس الأجور التي يحصل عليها الرجل، وبأنه يجب على الكثير منهن تدبير معيشتهن من خلال ممارسة عمل جزئي يكاد لا يكفيهن قوت يومهن. هذا دون الحديث عن الصعوبات التي تواجهها المرأة عندما تسعى للحصول على منصب في السلطة، أو على الأقل أن تحتل منصباً بمسؤوليات كبيرة.

الإعلام النسوي والمرأة المذنبة

بعض الأشخاص الذين تتم استشارتهم أو إجراء مقابلة معهم في المجلات يتركونك في حيرة من أمرك. كذلك بعض الخبراء والمختصين (علماء، صحفيين وكتّاب، إلخ.) الذين يقدمون تقارير حول موضوعات مثيرة للجدل، فبعضهم يبدي مثلاً قلقه حيال عمل المرأة، أو حيال السلطة التي اكتسبتها، أو الرجل الذي فقد مكانته وسلطته، أو الأطفال الذين يعانون من الوحدة والعزلة بسبب ابتعاد الأمهات عنهم، إلخ. وهناك أيضاً من يذهب إلى أبعد من ذلك، ليقدم إحصائيات ودراسات تدعم ادعاءاته حول ارتفاع منسوب الجريمة بسبب دخول المرأة عالم العمل بنسب غير مسبوقة!

أليس من شأن هذه المقابلات أو الاستشارات أن تدفع المرأة للتساؤل حول دورها كأم أو كزوجة؟ وللشك بخياراتها؟ ونسيان حقها في العمل وممارسة دورها في المجتمع مثلها مثل الرجل؟

مثل هذه التصريحات، لا يمكن أن نجدها مثلاً في المجلات التي تعنى بقضايا الرجل، ومن النادر جداً أن نجد في هذه الأخيرة هذا النوع من التساؤلات والتحليلات التي تدفع الرجل إلى الاحساس بالذنب أو التقليل من تقدير ذاته أو حتى تدفعه نحو الاكتئاب.

خلف الواجهات اللامعة

تمثل قارئات المجلات سوقاً لا يمكن تجاهله، فالوجود الهائل للإعلانات في المجلات النسائية يطرح بدوره عدداً من التساؤلات. والصفحات تجمع إعلانات من كل الأنواع، ولا سيما تلك التي تلامس الموضة والجمال، مواد التجميل والملابس وأدوات الزينة والأدوات المنزلية، والسيارات، والكمبيوترات، والتلفونات المحمولة والمنتجات الغذائية الخالية من الدسم، إلخ.

المعلن يتوجه بشكل رئيسي للمرأة على اعتبارها، بالنسبة له، المستهلك الأكثر انجذاباً لهذا النوع من الإعلانات. لأن المرأة هي التي تقع على عاتقها مسؤولية المشتريات المتعلقة بالمنزل، وهي مسؤولة عن 70 % من المشتريات المتعلقة بالحياة اليومية. والمعلن يتوجه بصورة أساسية للمستهلك.

هل هذه الإعلانات تصل إلى المرأة التي لا تشتري المجلات النسائية؟ لا تشتري جميع النساء المجلات النسائية، ومع ذلك فإن واحدة من اثنتين تقرأ هذه الإعلانات، كيف وأين؟ قاعات الانتظار في المستشفيات، في عيادات الأطباء، أطباء الأسنان، صالونات الحلاقة، النوادي الرياضية، إلخ. في هذه الأماكن العابرة، نقرأ بعض المقالات، لكننا أيضاً نتصفح المجلات كثيراً.

وزن وأهمية المعلن

بالنسبة للمجلات، يمثل المعلن في الواقع مصدراً رئيسياً للمال والأرباح. ولهذا فإن هامش الربح الذي تحققه المجلة عن طريق الإعلانات يضمن لها وضعاً مالياً مريحاً مهما انخفضت نسبة قرائها. ومع ذلك فإن هذه المساهمة المالية التي يقدمها المعلن لا تخلو من العيوب: في بعض الأحيان يسعى المعلن لممارسة بعض الضغوط، ليس فقط على صعيد اختيار المواد المعدة للنشر وإنما أيضاً على نوع المادة الإعلانية. والمثال الصارخ الذي ساد في السنوات الأخيرة، هو استخدام عارضات الأزياء لتقديم الإعلانات المتعلقة بالملابس، وهذا ضمنياً يوجه رسالة واضحة للمرأة: الرشاقة والجمال يمنحان القيمة الحقيقية للملابس التي ترتديها. والمؤسف في الموضوع، أن هذه العارضات تدفع الفتيات والشابات للتشكيك بأنفسهن وللتقليل من تقدير الذات لديهن.

وفي النهاية، لا بد لنا من الإشارة إلى أن تحليل محتوى وآليات عمل المجلات النسائية يضعنا أمام مجموعة من التساؤلات:

– هل هناك فعلاً تشجيع ورغبة في المساواة بين الجنسين؟

– هل هناك تعددية في أنماط التمثيل النسوي، كما هو الحال في وسائل الإعلام الأخرى؟ هل شرط المرأة المثالية يكمن دائماً في شبابها ورشاقتها؟

– ألا يمكن لاستخدام جسد المرأة كسلعة رئيسية في الإعلانات أن ينعكس سلباً على دورها في المجتمع والأسرة؟

ما الذي يجعل المرأة تشتري وتقرأ المجلات

النسائية؟ بشكل أساسي، لأن المجلة النسائية هي الشيء الوحيد الذي يتوجه للمرأة، ولأن بعض النساء يعتقدن، دون الانتباه لهذه التساؤلات أو القضايا، أن قراءتهن للمجلات تساعدهن على الاسترخاء وعلى تمضية الوقت بهدوء، خاصةً عندما تكن بحاجة إلى الراحة والتوقف عن العمل أو التفكير.

أليس من المفترض أن تمثل هذه المجلات انعكاساً للمجتمع؟

هل من الواقعي أن تثار التساؤلات دائماً حول الإعلام النسوي؟ وهل من المعقول أن نتجاهل ما يحدث في المجتمع؟ في الواقع يجب بناء الروابط بين الإثنين، بحيث ينظر للمجلات النسائية على أنها نافذة مفتوحة على الخلل الذي يسود المجتمع. لقد حان الوقت لكي تكون المجلات النسائية، كغيرها من وسائل الإعلام، قادرة على تشخيص أعراض المرض الذي تعاني منه المجتمعات الحديثة.

كما أن أي تقدم حاصل على صعيد المحتوى في الإعلام النسوي، يساهم بصورة مباشرة بتطور المحتوى في وسائل الإعلام الأخرى. فالمجلات تعكس صورة المجتمع الذي ما يزال بعيداً كل البعد عن موضوع المساواة، وعلى المجتمع نفسه أن يستمر في نضاله ضد جميع أنواع الإقصاء ومكافحة الأنماط والسلوك الممارس في حق المرأة، الذي يدفعها إلى منطقة الظل، ويضعها في المرتبة الثانية ويحرمها من حقها في ممارسة دورها الحقيقي في المجتمع والفضاء العام.

يبقى أمامنا طريق طويلة لتحقيق التوازن بين الفعل والخطاب، أما السؤال المتعلق بالشرط الأنثوي، فإن الإعلام البديل كفيل بأن يوفر نقطة الانطلاق نحو أنماط وتمثيلات نسوية مختلفة. وفيما يتعلق بالتساؤلات العديدة التي تم طرحها، فإنها، على عكس ما يعتقد البعض، ليست حكراً على النساء بل إن الرجال معنيون أيضاً بهذا الموضوع بنفس المقدار.

المصدر:
http://www.questionsante.be/outils/images_femme.html

المرأة اليمنية
دور رئيسي في الثورة وتهميش بعدها

• د. الخنساء عبد الرحمن أنور
عضو مؤتمر الحوار الوطني
عضو الهيئة الوطنية لتنفيذ نتائج الحوار

وثقت بنفسها وبقضيتها، حملت خيمتها واتجهت نحو الساحة، متحدية بذلك العادات والتقاليد التي قد تجعل من المرأة ومبيتها خارج المنزل مدعاة للأقاويل، في مجتمع محافظ وذكوري كاليمن. ويوماً بعد يوم توافدت العديد من النساء، ولم يعد الكثير من الرجال يتحرجون من تشجيع زوجاتهم وبناتهم على الذهاب إلى الساحة والمشاركة في إبداء الرأي. كثير من الكتاب علقوا على مشاركة المرأة البارزة في ثورة 2011 وكسرها للحواجز والأعراف التقليدية، بأنها «الثورة الحقيقية»، وأن مقدار الوعي المجتمعي الذي ظهر ما هو إلا الثورة الفكرية المصاحبة للتغيرات السياسية.

وكان من الملاحظ والبارز للعيان عدم وجود الفوارق الفكرية المطالبة بالإصلاحات السياسية، فالرجال والنساء في اليمن رفعوا شعاراً واحداً هو سيادة القانون والعدالة الاجتماعية. شاركت المرأة إبان الثورة في كثير من مجالس النقاش في المنتديات الثقافية التي كانت تقام في العديد من الخيام الثقافية، وهذا الزخم الثوري أعطى المرأة اليمنية الدافع الحقيقي في قيادة الكثير من المسيرات المنددة، ولم يتحرج الرجل اليمني من المشي في مسيرة تقوده فيها امرأة.

الجدير بالذكر أن مقياس تقييم ما حققته المرأة أثناء ثورة 2011 يأتي مساوياً لما كان موجوداً من إنجازات، أي أن الثورة كانت وطنية شعبية بامتياز في الفترات الأولى من الثورة، حيث رأينا وجود جميع شرائح المجتمع المختلفة، أطباء وصحفيين وكتاباً ونساء أيضاً من مختلف الاختصاصات، لم يقتصر التواجد من قبل فئة بذاتها، وإنما اختلطت مطالب المرأة المثقفة وربة البيت البسيطة وكل المطالب تصب في قالب واحد.

وتأتي بعد ذلك سيطرة بعض القوى التقليدية الدينية على منبر الساحة، وتحول الخطاب الإعلامي الحقوقي في الساحة إلى إدخال مطالب شعبية، يخالطها الطرح الديني المتحيز لبعض الأحزاب، وبدأت لعبة السيطرة والغلبة.. ومن هنا بدأ منحنى الحقيقة بالسقوط، عندما بدأ العديد من المثقفين وأصحاب النظريات المدنية بالانسحاب، ومن ضمنهم العديد من النساء اللواتي نظرن إلى مستقبل اليمن حالمات بدولة مدنية حديثة يسودها النظام والقانون والعدالة الاجتماعية.

هنا جاءت مرحلة التواجد الشكلي للمرأة في الثورة، بقيادة القوى الحزبية التقليدية الدينية، التي كانت تقود النساء في المسيرات الشعبية فقط للظهور ادعاء بصورة المناصر المرأة، لكن الواقع غير ذلك. هذه القوى الدينية لا ترى في تواجد النساء غير اللون الأسود الذي يطغى على المسيرة، وتعطي نوعاً من المواطنة المتساوية الشكلية لهذا الحراك. تراجع الإيمان بوجود المرأة الحقيقي ومشاركتها في صنع القرار السياسي والتحول السلمي للسلطة، وواجهت الكثير من الانتقادات وضروب من القمع وتشويه السمعة.

وعند حل النزاع في تسوية سياسية، وصدور المبادرة الخليجية التي نصت على تسليم السلطة ودخول جميع المكونات السياسية ضمن مسار الحوار المتفق عليه، وخروجهم بخارطه طريق توثق باسم وثيقة نتائج الحوار الوطني، والذي انعكس بدستور يفضي إلى انتخابات وتشكيل حكومة كفاءات (تكنوقراط) تقود البلد في ظل دولة اتحادية فيدرالية، وهذا هو المسار المنصوص عليه في بنود المبادرة الخليجية، عند حل النزاع نفذت البنود الخاصة بتسليم السلطة ودخول مؤتمر الحوار الوطني الشامل، ومثلت المرأة بنسبة 28 %، هذا التمثيل لم يأتِ بدافع وطني محلي، وإنما كان استحقاقاً فرضته المبادرة الخليجية والرعاية الأممية لهذا الاتفاق، حيث جاء تمثيل النساء مستنداً على قرار مجلس الأمن رقم 1325، والذي يقضي بتمثيل المرأة بما لا يقل عن 30 % في صنع الأمن والسلام. وبما أن الحوار الوطني الشامل عمل بعد ثورة شعبية أدت إلى تسليم السلطة كشكل من أشكال إحلال السلام والأمن في الدول التي تعاني الصراعات السياسية، تم فرض تواجد النساء في هذا المؤتمر أممياً وليس محلياً.

ولم يشفع للمرأه اليمنية خروجها ومشاركتها بالمسيرات، ولم تعترف بها القوى السياسية المحلية كشريكة ذات استحقاق في المرحلة القادمة، بحيث انعكس هذا الإهمال في القرارات التعيينية لوزراء وسفراء، دون أن تمثل المرأة بما هو متفق عليه، وتم تجاوز وثيقة نتائج الحوار وأول المتجاوزين تمثلوا بالرئاسة والحكومة، لعدم الثقة بمشاركة المرأة.

فليستمر النضال، وما نيل كل مطلب بالتمني، ولكن كتب على المرأة اليمنية والعربية هذا الدرب الطويل من الكفاح، لعلها تأتي في يوم وتصل إلى نهايته.

صوتنا مابيقتل حدا
بدنا نضل نكتب..
2015

الحمل (٢١ آذار – ٢٠ نيسان)

تكونين محبطة في الربع الأول من الشهر، بسبب تراكم التعب والعقبات المالية، تستمرين متوترة حتى نهاية الثلث الثاني، لكن الثلث الأخير يحمل لك تغيرات على صعيد العمل والعلاقات والمال، وربما يحمل لقاءات مع أشخاص يخفق لهم قلبك.

الجوزاء (٢١ أيار – ٢١ حزيران)

كانون الثاني هو مفتاح السنة الجديدة، فترة مليئة بالأحداث الهامة، وإن عانيت من المحيط في العمل والسكن، ابتعدي عن الظنون السيئة، والتوجه للانتقام والمحاسبة لأنك قد تظلمين بريئاً، تحسن في الثلث الأخير من الشهر، تعيشين الرومانسية والسحر.

الأسد (٢٣ تموز – ٢٢ آب)

تكونين خاملة بداية الشهر بسبب الضغوط والبعد عن الشريك، انتبهي من الأماكن الخطرة، أو التهور في قيادة السيارة، أو الرحلات السرية. تتحسن أوضاع العمل في الثلث الأخير من الشهر، فرصة للعاطفة في الأسبوعين الثاني والثالث.

الميزان (٢٣ أيلول – ٢٢ تشرين أول)

مع الأيام الأولى تعيشين برودا على صعيد الأسرة، لكن الحبيب والأصدقاء يساندونك بقوة، المشكلة في رفع سقف التوقعات، ما يشعرك بالخيبة، كوني واقعية ومنطقية لتحصلي على جوائز تصلك في الربع الأخير، حباً ونجاحاً في العمل مع احتمالات زواج.

القوس (٢٢ تشرين ثاني – ٢٠ كانون أول)

تمرين بشهر جيد، وتحسن على صعيد المال والدراسة، لكنه قد يحمل تطورات سيئة على صعيد العائلة والعمل، انتبهي من الحروق والجروح، مع نهاية الشهر تكسبين الداعمين، تراجع في النصف الثاني يحمل خلافاً عائلياً، يعارض الأهل علاقة تخبرينهم بها.

الدلو (٢٠ كانون ثاني – ١٨ شباط)

تستقرين مع مغادرة المريخ لبرجك بداية الربع الثاني من الشهر، أعدي نفسك لسنة مثيرة على كل الصعد، تستردين أموالاً وتؤسسين مشاريعاً مع العائلة، احذري المزاجية وإهمالك للآخرين، ولادتك الحقيقية تبدأ مع الثلث الأخير من الشهر خاصة على مستوى العاطفة والارتباط.

الثور (٢١ نيسان – ٢٠ أيار)

يدعمك الفلك منذ اللحظة الأولى هذا العام، فرصة لتعزيز النجاح المادي، طاقة وتفاؤل رغم الضغوط، تكونين مميزة على صعيد العمل، حضور ملفت في محيطك، تحصلين على اهتمام أحدهم وكثير من الإثارة، عليك الانتباه إذ يتراجع الحظ في الربع الأخير.

السرطان (٢٢ حزيران – ٢٢ تموز)

مشاكل وتحديات تعانين منها على كل الصعد، عمل مضنٍ تضطرين إليه للوفاء بوعود سابقة، توتر وصدام مع الشريك، وخذلان من المحيط، تبدأ الأمور بالانفراج في الثلث الأخير من الشهر، وتفهم من الشريك ما يحسن العلاقة كثيراً.

العذراء (٢٣ آب – ٢٢ أيلول)

يعدك كانون الثاني بالأمل والحب، انتبهي من فقدان شعبيتك بسبب انتقادك للآخرين، فرحل يعاندك هذه الفترة، عليك السير على خطة لتستفيدي من الإيجابيات المتاحة. في الثلث الأخير سيكون الوضع أكثر صعوبة، وفرص العاطفة ضعيفة. عليك بالصبر لتجاوز البرود.

العقرب (٢٣ تشرين أول – ٢١ تشرين ثاني)

النصف الأول من الشهر سيكون قاسياً، عليك قبول التنازلات في صراعهات العمل وخلافات العائلة، هناك أشخاص يعارضون تقدمك، يعاندك الفلك هذا الشهر، عليك التحضير للفترات القادمة، العاطفة تعبر الكثير من البرود وتتحسن قليلاً في النصف الثاني من الشهر.

الجدي (٢٠ كانون أول – ١٩ كانون ثاني)

هذا الشهر هو شهر الجدي بامتياز، تتصرفين بمثالية وقوة وتربحين كل الجولات، على صعيد المال والعائلة والشريك. تكونين جذابة وتخطفين الأضواء، حضور جيد أمام رؤسائك في العمل، وهج أقل في الثلث الأخير من الشهر، مناسبة جيدة للحب والارتباط.

الحوت (١٩ شباط – ٢٠ آذار)

تدخلين هذا العام بتصميم وطاقة، ولديك دعم أصدقائك، في الثلث الأخير من الشهر تتعطل بعض مشاريعك، فيتعرقل حصولك على أوراق ثبوتية هامة، لا تبوحي بما في قلبك حتى تتأكدي من الشريك لأنك عرضة للخيبة، انضمامك إلى منتدى يعود عليك بالفائدة.

الكلمات المتقاطعة

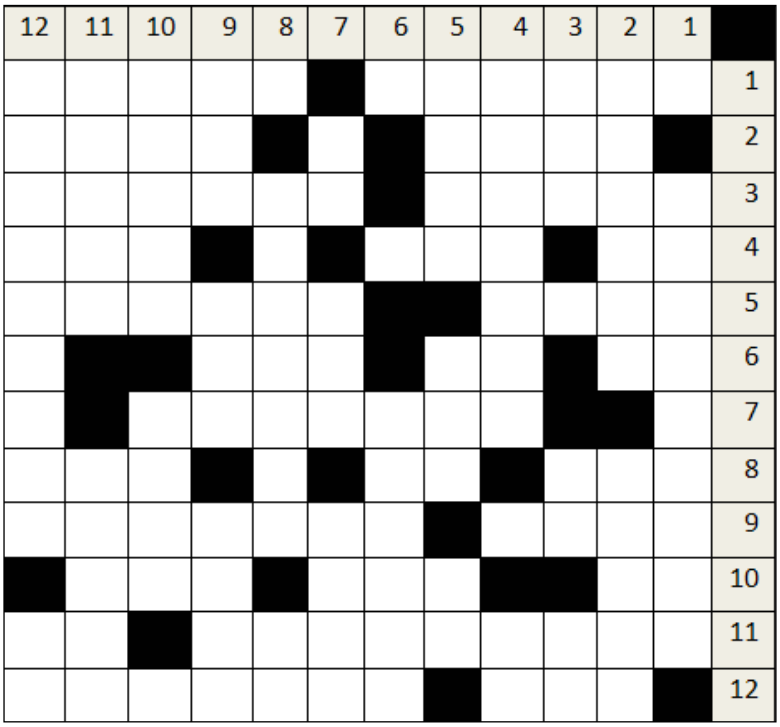

أفقي

١- روائية سورية مرشحة لقائمة بوكر الطويلة- إهانة (معكوسة)
٢- نقطف- صوت الباب (معكوسة)
٣- اتفاقية لحقوق المرأة- رغبات (معكوسة)
٤- ثلثي وبر-يراع (معكوسة) - يشير
٥- فرحي- إحدى أنواع الصواريخ
٦- حرف ناصب (معكوسة)- قهوة (معكوسة)- عتاب
٧- شلالات في أمريكا (معكوسة)
٨- أبوح (معكوسة)- أحد الأطراف (معكوسة)- ألج
٩- شهر قمري- أحد أبواب دمشق القديمة
١٠- بحر- جنون- جلس
١١- قائد بوذيي التيبت- جبل صغير
١٢- لحد- دولة أوروبية

عامودي

١- ممثلة سورية شابة
٢- قائد قرطاجي حارب روما- معجم (معكوسة)
٣- أكد في العمل- متشابهان- عقل
٤- روائي سوري- لقياس المساحة
٥- جمع سيل- طريق (معكوسة)- ضمير منفصل
٦- فايروس وبائي قاتل
٧- قادم- لف (معكوسة)- أصل
٨- ما ينزل للقاع- أغلظ أوتار العود (معكوسة)
٩- يشاهد (معكوسة)- لا يحسن القراءة والكتابة- إحدى العمليات التجارية
١٠- دولة أفريقية (معكوسة)- زواج (معكوسة)
١١- أبدي- قصيدة (مبعثرة)
١٢- مطربة سورية- حرف نهي

سودوكـــــو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء ال ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى التسعة دون تكرار.

			9	8			6	
8	1							
5	4	6				7	8	
	5		8	4		6	3	
	3			7			4	
	2	7		5	3		1	
	6	2				3	7	4
							9	1
	9			1	7			

كلمة السر

كلمة السر مؤلفة من ١٢ حرف: وزيرة سابقة في الحكومة السورية المؤقتة

لم تأت قلت ولن إذن سأعيد ترتيب المساء بما يليق بخيبتي وغيابها أطفأت نار شموعها أشعلت نور الكهرباء شربت كأس نبيذها وكسرته أبدلت موسيقى الكمنجات السريعة بالأغاني الفارسية قلت لن تأتي سأنضو ربطة العنق الأنيقة هكذا أرتاح أكثر أرتدي بيجامة زرقاء أمشي حافيا لو شئت

ر	ا	ه	ع	و	م	ش	ع	ء	ا	س	م	ل	ا	ت
ش	ب	ء	ا	ب	ر	ه	ك	ل	ا	و	ض	ن	أ	س
ئ	ا	ح	ا	ت	ر	أ	ت	ا	ج	ن	م	ك	ل	ا
ت	ل	ا	ه	ب	ا	ي	غ	و	ي	ش	م	أ	ا	س
ي	أ	ش	ة	ط	ب	ر	ى	ق	ي	س	و	م	ل	أ
إ	غ	ر	ن	ل	ت	ل	د	ب	أ	ت	ل	ق	ف	ع
ذ	ا	ب	د	ن	ن	ر	ث	ك	أ	ت	ل	ق	ا	ي
ن	ن	ت	أ	ا	و	ب	ي	ت	ر	ت	ت	ا	ر	د
ة	ي	ت	ر	ر	ر	ق	ي	ل	ي	ل	أ	ب	س	ا
م	ا	أ	ت	ح	س	أ	ك	ن	ل	و	ت	م	ي	ل
ا	ذ	ت	د	و	ل	ه	ت	ر	س	ك	و	ة	ا	ع
ج	ك	ي	ي	ت	ل	ع	ش	أ	ا	ي	ف	ا	ح	ن
ي	ه	ا	ه	ذ	ي	ب	ن	ي	ت	ب	ي	خ	ب	ق
ب	ا	ل	س	ر	ي	ع	ة	م	ل	ء	ا	ق	ر	ز
ي	ة	ق	ي	ن	أ	ل	ا	ل	ت	أ	ف	ط	أ	ج

سهر.. الزوجة الدمية

ما تزال عالقة في ذاكرتي معالم وجهها الطفولي ناصع البياض، عيناها الزرقاوان الخجولتان الحالمتان، شعرها الأشقر المقصوص بطريقة صبيانية، تخفي الكثير من معالم أنوثتها، وجمال وجهها.

لم يكن ذلك منذ زمن طويل، أربعة أعوام فقط، كانت جدّ كافية لتبديل ملامحها، من تلك الطفلة الرقيقة المرحة التي تلعب مع بنات الجيران في فناء البيت، إلى فتاة شاردة النظرات، تختزل ملامحها حزن العالم كله.

لم تكن سهر التي التقيتها بعد ثلاثة أعوام، وهي في الخامسة عشرة من عمرها، تشبه في شيء، تلك التي صادفتها عند أقاربي، وهي في الثانية عشرة، كانت قد جاءت إلى بيت أبيها فيما كنت مع بعض القريبات في زيارة لمنزلهم، دخلت سهر باكية، وارتمت على صدر والدتها.

ذهلنا من هول الموقف، ما عساه يمكن أن يكون قد جرى؟ وبمجرّد كشفها عن ظهرها ورجليها، صعقنا جميعاً، كان جسمها البضّ ناصع البياض، ملطخاً ببقع زرقاء اللون، متحوّلة إلى اللون البنفسجيّ في بعض الأماكن.

عقدت الدّهشة ألسنتنا جميعاً، معظم النسوة المتواجدات حينها، كنّ يعرفن سهر طفلة تلهو وتلعب لدى زيارة أخواتها الكبريات، كثيراً ما شاهدتها تلعب مع ابنة أختها التي تصغرها بعامين، في حديقة منزلها الذي يجاور منزلي، كثيراً ما أسمع صراخهما وهما تتشاجران على دمية، أو ربطة شعر ملوّنة.

لم تعد سهر تهتمّ لربطات الشعر الملونة، فالسواد أخفى ملامحها، كما أخفى الكدمات الزرقاء تحت عينيها وعلى جسدها.

يضربها ليؤدّبها!

بعينين كسيرتين، غاب بريقهما، تنظر إلينا سهر وتتأملنا ونحن نتفرّس بملامح وجهها الذي يقطر حزناً، ودون أن تنطق بكلمة، تكشف الخمار الأسود عن وجهها، لنشاهد آثار صفعة لئيمة تلطخ بياضه بعلامات حمراء مزرقة، ثم تجهش باكية، وهي توجه الحديث لوالدتها: «أرسلني إليكما لتربياني»، ثم رمت بنفسها في حضن أختها الكبرى، التي كانت أكثرنا ذهولاً وتألماً، راحت تتمتم في أذنها، فيما كنت أسترق السمع، علّني أفهم ما تقوله: «لا تكاد تمضي ليلة، دون أن يضربني، لا أدري ما هي الخواطر التي تدور في رأسه ليلاً، إذا تحدّثت أمام أهله، يتهمني بالجهل ويضربني، إذا زاد الملح في الطعام يضربني، وفي النهاية...» انفجرت سهر يومها باكية: «لا أستطيع أن أغفر لأهلي، هم أجبروني على ترك المدرسة، كي أتزوج من مهندس»!

حين سألتها شقيقتها عن السبب الذي دفعه لضربها، وفيما إذا كان معتاداً على ذلك، كان جوابها بعد صمت طويل: «في ليلة الزفاف، وبعد العشاء، ضربني بسبب خوفي، ضربني لأنني تزوّجته بعد خطبة دامت أسبوعين فقط، لم أشاهده خلالها سوى ثلاث مرّات»!

لم تدم خطبة سهر أكثر من أسبوعين، بسبب إجازة والده القصيرة، واضطراره للعودة إلى عمله، تركت خلالها المدرسة، تركت حياة الطفولة، لتنتقل إلى كنف زوج يكبرها بثلاثة عشرعاماً، ومهندس، خبر من الحياة أكثر مما خبرته بكثير.

طلاق بعد عام

لم تكن المرّة التي شاهدتُ فيها سهر في بيت أهلها، هي الأولى، فقد توالت زياراتها الطويلة لبيت والدها، الذي كان يشتعل بالخلافات، بمجرّد مجيئها، بين الوالد الذي يجد في بناته الستّ عبئاً ثقيلاً، ويحاول أن يخفّفه قدر المستطاع، حتى لو اضطر إلى تزويجها طفلة، فكيف يحتمل فكرة عودتها مطلّقة إلى بيته! وبين والدتها التي كانت تشفق على ابنتها من هذا الزواج.

لطالما التجأت سهر إلى أختها التي تسكن في المبنى المجاور لمنزلي، ولطالما شاهدتها حائرة، باكية وساخطة.

اعتقل زوج سهر، ضمن حملة اعتقالات شملت بعض الأشخاص المتشدّدين في البلد قبل عدة أعوام، حيث لبث في السجن مدّة شهرين، ليخرج بعدهما أكثر مزاجية وعصبية، إلى حدّ الجنون في بعض الأحيان.

بعد هذين الشهرين، ضاقت شقيقات سهر ذرعاً بما وصلت إليه حال أختهن، فسعين بالوساطات التي لم تسفر عن نتيجة، ولكن النتيجة كانت في النهاية، طلاق سهر وشقيقة لها كان زوجها قد اعتقل مع زوج سهر بذات التهمة، وفوق ذلك كلّه طلاق والدتهما من الأب، تقول سهر: « لم أعد أدري بمن ينبغي عليّ أن ألتحق، بوالدتي التي تسكن برفقة أختيّ الصغيرتين، في غرفة في بيت أخيها، أم بوالدي الذي لم يمضِ أسبوع على طلاقه من والدتي، حتى جاء بزوجة جديدة أسكنها البيت»!، ولكن مأساتها لم تكن شيئاً إذا ما قيست بمأساة أختها، التي اضطرّت إلى التخلي عن أبنائها الثلاثة، وحرمانها من رؤيتهم.

الهروب زواجاً

هذه المرّة، لم يكن الزواج خياراً، كان قدراً، فسهر الرقيقة، ذات الأعوام الستة عشر، والمطلّقة سابقاً، سهر التي محا هذا العالم ذاك الألق الرقيق الذي ينبعث من فضاء عينيها، لم يعد أمامها ملاذ تهرب إليه، سوى زوج جديد، وبيت يؤويها، فلا هي قادرة على المكوث مع والدتها والاستجابة لخالها الذي يريدها زوجة ثانية لولده، ولا هي قادرة على البقاء في بيت احتلّته سيدة جديدة، تحاول أن تجعل من كلّ من في البيت جواري لها!

«كان الخيار الوحيد أمامي هو الزواج، وإنجاب طفل، أجل، كلّ ما كنت أبحث عنه هو الطفل، قد يكبر وينسيني كلّ ما قاسيته، بسمة طفلي الصغير اليوم هي من أنقذتني من اليأس الذي كنت أعيشه».

وتتابع سهر، أنّ زوجها الحالي لا يحمل أياً من سمات فتى أحلامها، لكنها أساساً لم تعد تعير اهتماماً لهذه الفكرة، فالزواج لم يعد يعني لها أكثر من سقف تلتجئ إليه، هي زوجة وأم الآن.

«أقف أحياناً أمام المرآة حين أسمع أصوات بنات الجيران وهن ذاهبات للمدرسة، أجدّل خصلات شعري، ولكنني أستفيق على صوت طفلي يبكي طلباً للحليب»!

رماد... ي

• بابل الأحمد
«إلى مالك الحزين»

وكما كل ليلة، عندما ألامس وسادتي، تخرج رائحتك من بين ضلوعي، كأنك مكيدة سرائري، أتبع الرائحة، أغرس رأسي في شعرك، في صدرك، وأفتش عن ورقات الحبق في تضاريسك... فيهزني صوت أمي...

– تأخرت اليوم أيضاً...

أنهض، أعدل مجلسي، وأغطيك حتى لا يفتضح أمري

– يا أمي تأخر القطار...

فتبتعد أمي، ألتقط أنفاسي وأعود إليك، فأراكِ منكبةً على تطريز وشاح أبيض، أتكور في فراشي وأتأمل أصابعك في حركتها، أشعر بها تخربش على شبكية عيني فراشات وأزهاراً..

أتذكر وشاحي، أتفقده، أين كان هذا؟

أسير طوال الطريق والبرد يسرّع خطواتي بينما تلاحقني نظرة اللوم في عيني أمي لتخمدها. ماذا سأقول لها؟ أشعر بنفسي أسير إلى الخلف والبيت يبتعد. ثم أحث نفسي وأسرع، فالبرد يجلدني سأدبر رواية تموه اختفاء الوشاح، لكنها تعرفني حين أكذب. إذن سأدخل دون أن تراني لكنني تأخرت كثيراً وستكون متربصة بكافة المداخل...

يعلو صوت أمي وفي عينيها عتب؟

– أين وشاحك؟

– لا أدري... كان حول عنقي... أليس كذلك؟

– هل زرت النهر من جديد؟ ألن تتوب عن السباحة ليلاً

– لكني... جاف يا أمي... والوشاح... قد يكون على مقعد ما...

تتبرم أمي من سهوي، تسير نحو الباب فألتقط أنفاسي، ثم تستدير من جديد كأنها نسيت شيئاً

– لن تنال بعد اليوم أي وشاح... دع الانتظار يحضنك..

أضحك في سري، أفكر بأنها ستسامحني من جديد لا لأسباب تذكر، بل لحماقة كونها أنجبتني ذات صدفة. ثم أستشعر وخزةً في الضمير على وقت ضاع بعد سكرة النهر وأنا ألاحق مخاوفي ممَن؟ من أمي؟ راودني خاطر أنّ سقف صوتي كان منذ ولدت أوطأ بكثير مما اعتقدت... من أمي؟ وما معنى أني لاحقت شياطيني حتى ساعة متأخرة، ثم انتظرت امرأة لا أعرفها ساعات على مقعد في المحطة، وشربت نبيذاً حارقاً وسرت إلى النهر، واختبرت الحرارة في جسدي وروحي... ولا أدري آخر مشهد حضر فيه الوشاح... يا لها من سخافة لو كتبتُ عن ذاك الموج لكانت أجمل القصص لكنني هدرت ذاك الوقت لأختلق أكاذيباً... لمن... لأمي!!

ثم أفكر بدفئك وأسخط من نفسي من جديد.. لماذا كان علي أن أقف عند حادثة تعرض لكثيرين بمعدل مرة كل ليلة، لماذا أهدر الوقت ثانية؟ الأجدر بي أن أمسك بك الآن وأتنفس رحيقك بكل حواسي حتى أضمن أني لن أموت... تمسحين شعري..

– لا تشغل نفسك يا حبيبي... كنت طفلاً ولا بأس..

هل كنتُ طفلاً جميلاً؟ عندما تحدقين في صورتي القديمة وتتأملين عيني، أيراودك خاطر إنجاب طفل له ذات العينين؟ أشتم رائحة جسدي... تتلون بكل درجات الرمادي... رائحة العرق والشمس المختلطة برائحة التراب لطفل قضى يومه بالركض واللعب، هل سيركض أطفالك في الشوارع أم سيقضون أيامهم يلعبون بالرمل والصلصال؟ أتخيلهم منثورين حولك أطفال كثر... كثر... مجتمعين حولك وأنت ترسمين... يقلدونك... ويدندنون كلمات غير مفهومة محورة عن فيروزك... أنتِ... ليتني أموت الآن وأولد ابناً لك...

يمر طيف أسود عميق ثقيل الصمت... الخوف من جديد... كنا نلعب بأدب حتى يكون تأنيب المساء ألطف... تأنيب... تأنيب... لكنني أحبك يا أمي، إلا أن ذاك الطفل الذي كنته يمقت نظرتك الممتعضة أبداً بدافع الضبط... ضبط الإيقاع بكتمانه...

لكنني كبرت سريعاً، رائحة الذكورة تشعرني بالقرف... لم أكن ذكراً ولا رجلاً ولا لوناً قبلك، ثم ماذا؟ رائحة أفواههم وهم يهتفون... أفواه أخرى تشتم... وبقايا الدم... اتفقنا.. رمادي وهذا الخلل اللوني لا يمكن التغاضي عنه...

– اشتقت إليك... كم أنت شهية!..

تبتسمين بغنج، تشيحين وجهك عني...

– كل يوم تشتاق إلي؟

كل يوم أشتاق إليك، أخطئ في الأسماء التي أكتبها على تذاكر المسافرين، أنتظر القطار الأخير علك تشتاقين إلي وتقودين حماقتكِ...

– لماذا تنتظر القطار وبيتي خلف المحطة!

أنا أصغي إلى انتظارك... صوت القطار... يشبه صوت الفرن وهو يمرر أرغفةً على الشريط... ورائحة الخبز... بيضاء بيضاء... أحبك والمحطة بيتك... أجمع كل الوجوه والتذاكر ثم أغسلها سبع مرات في النهر... فتصبحين أقرب... أسكب الخمر على جسدك الأبيض وألعقه...

– سوف تفضحنا في الحي... رائحتك وحدها فضيحة...

أمي العمياء عن كأسي...

– خمرك أهم من خبزنا...

تنتحب أمي، لا أفهم، تسحبين الغطاء، وتعدلين ثيابك وشعرك، أمسك يدك خلسةً... لم أشبع بعد... كم مرةً علي أن أشرح لك أنكما لا تلتقيان... هي لا تراك فكيف تسمعينها...

– أسمع ضميرك... وكفى

– يعني يا ابني... أنت لم تكن تشتاق لي...

– اذهب إلى أمك واتركني...

– هل تحبها أكثر مني.. تلك الملونة...

صراخ يعلو، الضجيج، الأبواب تفتح وتغلق بضجر، أين كنا؟... أقبض على رأسي بكلتا يدي... شعري الملبد... ذقني شائكة... لا لن أقربك... سأكون معك فقط بالصورة التي ترضي غروري... أتكور على نفسي أكثر... أغمض عيني وأضغط... أدخل في السحابة الكثيفة... ألقي رأسي في حجر أمي... غني لي... أنت لا تشمئزين مني أليس كذلك... تغني أمي وينزل دمعها على وجهي... يغسلني... أعتقد أني استفقت... وبت زاهياً... أتركها عند جدار المقبرة وأمضي كي أصالحك... ما زلتِ على موقفك... تشيحين وجهك ببطء ألاحقه بأصابعي... أكثر فأكثر حتى تصطدم يدي بجدار الزنزانة... كأنني استفقت...

رباعية الليلك.. نص في الأنانية والعشق

• علي الأعرج

(1)

مزاجيّ كالماء.. ربما كان لهُ حظُّ الأبراجِ المُزيّفةِ وقليلٌ من حامضِ الليمون العالي على شرفاتٍ تموجُ سُكرةً نادرةً في الهوامش.

مزاجيٌّ ولم يعرف الليلكَ قبلاً.

يستيقظُ متى أسعفتهُ الأشياءُ بصهيلها... يتمعّنُ بالفراغِ وبأوراقِ البارحةِ.. يقلبّها على مهلٍ، فلا تعجبهُ.. يتركُ بحرصِ المُتعبِ أثرهُ على الفراشِ وينهضُ.. يصنعُ قهوةً.. يُصغي إلى صوتِ اللونِ الصباحيّ.. ربما كانت ظهيرةً.. لكنَّ للأشياءِ روتينُ البلادةِ المُستعارة.

يراقبُ بكثبٍ قهوتهُ، شبهُ ناعسٍ، لا يُزعجُ نفسهُ بالعالمِ ولا بكلِ الدمار.

يتأمّلُ الأوراقَ والحَبرَ والمنفى.. لا نوافذَ للريح.. يشعرُ بنفسهِ الكائنَ الأرضيّ.. فلا ملاكَ يصيرُ عليه، ولا بشريّ يرى الأمورَ مثل الله.. يجلسُ ويكتبُ.. يمزّقُ.. فيكتبُ.. فيمزّقُ.. فيكتبُ.. يسأمُ من ألمِ المعصمِ الهزيل.

يُقلّبُ في الصفحاتِ التكنولوجيّةِ شيئاً.. لا يهتمُّ لكلِ ما يُقالُ.. فيُغلقُ ما يُشبهُ البحرَ على أفكارِه.

هكذا كانَ.. لم يعرفِ الليلكَ قبلاً.. لم يُصلِّ لهُ كما يفعلُ زاهدُ الشرقِ في محرابِه.. لم يتلُ سوراً من آياتِ الوجودِ.. ولم يقل إنهُ فقيهُ الشهوةِ على عجلٍ.. ولا حاملُ رايةٍ تأبى الروحُ أن تموتَ فيه.

الليلكُ حكايةُ لونٍ.. شتائيٌّ غامضٌ ومنفى.

لم يُجهّز طقوسَ الهذيان، ولم يخف من مجهولٍ يسيرُ بهِ أينما شاءت لهُ أحلامهُ.. لم يفكّر بالليلكِ قبلاً.

(2)

تقولُ وهي القريبةُ من غيمٍ مُتلبّك:

لا أعرفكَ ولا تعرفني.. أفلا تُعطيني نصفَ النصّ، فأرعاهُ ويرعاني.

لا يُجيبُ.. يتمهّلُ في القراءةِ كي يكتشفَ الحرفَ المُشكّلَ.. ويُفكّرُ:

من هي؟ وماذا تُريدُ من هواءٍ لا يمكثُ بأرضِ الموتى؟ ما حجّةُ الغموضِ في الشكلِ؟ ولمَ عليَّ أن أُجيبَ المجاهيلَ الثرثارينَ بي؟ كيف نشأت من عدمِ الوعي في تفاصيلِ الألمِ؟ ولمَ عليَّ أن أُجيبَ كائناً غريباً يُقحمُ نفسهُ في عُزلةِ الروايةِ التائهة؟

فكّر بذلكَ.. لكنَّ إحساساً غريباً بالليلكِ راودَ بلاغتهُ المُنتهية.. فتأمّلَ الهواءَ المُحيطَ ورسمَ على بياضهِ هُزالَ خيالهِ وأجابَ:

لي.. إنهُ لي.. كُلُّ الحبرِ وما يخرجُ من الخردةِ الدماغيّة.. كل الهذيانِ الخاص بالموت.. هي النصوصُ لي.. فلا أشاركُ الغرباءَ بحصّةِ القمحِ المُذهّب.. لا أشاركُ تفاصيلَ مائه.. ولا أرفعهُ إلهاً عليَّ.

أجابَ وأهملَ كل ما كانَ من حديثٍ عابر.

اجترعَ نبيذهُ المُستكينَ لشهوةِ التيهِ في حبرِه.. فتخدّرَ الدمُ في ساقيةِ الذكرياتِ المُتآكلة.. آلمهُ الحنينُ.. فأُصيبَ برعشةِ الهذيانِ ونامْ.

(3)

ولأنّ الحياةَ شبهُ سافلة.. كتبَ فوقَ طاقةِ الوقتْ.. لم يعرف من هوَ.. فتاهَ.

لم يعرفِ الليلكَ قبلاً.. ليلكٌ يغزلُ براءةَ التحمّلِ الصامت.. يؤمنُ بأنّ الأشياءَ مثاليّةٌ.. ليلكٌ يخبو من مزاجِ المتصوّف.. يتقلّبُ على مهلٍ من إحساسِ الخيال.. فيُصرُّ على القلبِ أن يكونَ أكثرَ رأفةً.

ليلكٌ ضبابيٌّ.. لا تُعرفُ تفاصيلهُ.. لا يهتمُّ ذلكَ المُستنزَفُ من شهواتِ الوجودِ المُنعزلِ.. يتوهُ في هواجسِ الجسدِ الآخر.. يكتبُ على جلودِ الإناثِ ما تخلقُ الهواجسُ.. لا يشعرُ بشهوةِ المنيّ.

مريضٌ ذلكَ المُستنزَفُ بحبرِه.. عُذريٌّ بمزاجهِ المُطلق.

يعيشُ على كهولةِ الطعامِ وعلى تبغهِ المُميتِ وقهوتهِ المُشرّعةِ أزلاً في بصيرته...

ينتظرُ عاماً.. لا يعلمُ ما يفعلُ المنفى به.. هواجسُ أمراضٍ.. حبرٌ مُسالٌ..

ورقصٌ بوهيميٌّ في أماكنَ ليست لهُ.

لم يعرفِ الليلكَ قبلاً.. يُعجبهُ تشوّهُ الموقفِ في روحه.. لا يفهمُ تدرّجاتِ الجسدِ كثيراً.. يستنشقُ الأشياءَ على مهلٍ، فتزهو من فطرةِ الريح.. يراقبُ بكثبٍ كل الليمونِ المُسالِ فوقَ أعمدةِ الرخامِ الأثينيّة.. يُلملمُ خيباتهُ المُستنزَفةَ على مهلٍ، ويخبو مثل الخطيئةِ الكونيّة.

تتغيّرُ الأشياءُ في جعبته.. يُدمنُ حنينَ الليلكِ ويخافُ.. يسيرُ بلا وجهةٍ ويعلمُ أنهُ قتيل.

(4)

لم يعرفِ الليلكَ قبلاً.

ولأنّ التجريبَ هاجسُ خيالهِ.. تأمّلَ المساءَ فرأى صفاءَ الشيءِ المُقابلِ، ربما سماءً.. ربما غيماً داكناً.. وربما أخرى ليلكاً ساجداً على حزنِ الفكرةِ المُستثارةِ من موته.

لم يعرفهُ قبلاً.. فنامَ وحَلُمَ أنه سجينُ اللونِ.. سجينُ الشتاءِ الأوّلِ.. سجينُ ليلكٍ ظهرَ في خاصرةِ هزالهِ.. فأدركَ مرضهُ.. أدركَ أنّ وشمَ الخاصرةِ لا يزولُ.. أدركَ الخلودَ القليلَ في دمه.. أدركَ الليلكَ وهذا كُلُّ ما في الأمر.

خاص بحملة #طفلة_لا_زوجة

#طفلة_لا_زوجة

#ChildNotWife
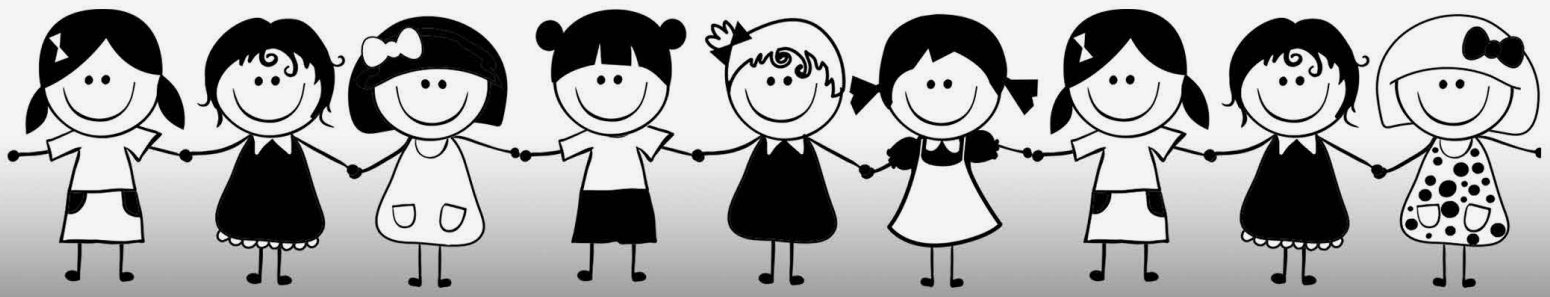
#ChildNotWife #طفلة_لا_زوجة